جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد الخامس والعشرين [أكتوبر ٢٠٢٤م]

المرجعية الفكرية لنسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر – الوجودية نموذجًا –

الدكتور

الشحات عبد المعطي عبد السلام عقل

مدرس العقيدة والفلسفة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

المرجعية الفكرية لنسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر – الوجودية نموذجاً –

الشحات عبد المعطي عبد السلام عقل
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: alshahatabdelmuty.2230@azhar.edu.eg

الملخص:
يهدف البحث إلى بيان معنى النسبية في المعاجم اللغوية وكذلك بيان مفهوم النسبية في الاصطلاح وفي المعاجم الفلسفية كما يهدف هذا البحث إلى عرض الجذور الفكرية الأولى والأصول الفلسفية القديمة التي كانت أساسا ومرجعا للقول بنسبية القيم عموما والقيم الأخلاقية بشكل خاص كذلك من أهداف البحث بيان الأثر الذي تركته الفلسفات الغربية القديمة على الفكر الغربي المعاصر الأمر الذي أدى إلى تبني كثير من الفلسفات المعاصرة للقول بنسبية القيم ورفض القول بكل ما هو مطلق وثابت ، كذلك يهدف هذا البحث إلى خطورة القول بنسبية القيم الأخلاقية على الأفراد والمجتمعات ، وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي ، أما عن التوصيات التي يجب مراعاتها والاهتمام بها فتتمثل في دراسة الأفكار والمذاهب الغربية بدقة بالغة لبيان ما فيها من تعارض ومخالفات مع العقيدة الإسلامية خشية أن يتأثر بها ضعاف الفكر وقليلو العلم فيعتنقوا مذاهب قد تؤثر على عقيدتهم أو تؤدي بهم إلى الشرك دون علم أو دراية ، وفيما يتعلق بنتائج البحث فأهمها يتمثل في: أن القول بنسبية الأخلاق لم يكن نتاج الفكر المعاصر وإنما تمتد جذوره إلى الفكر اليوناني ، وأن القول بنسبية القيم الأخلاقية يجعل من علم الأخلاق موضوعا قابلا للرد والنقد علما بأنه علم معياري ، كذلك من نتائج القول بنسبية الأخلاق شيوع العنصرية وانتشار التطرف ، الأمر الذي يؤدي إلى فساد الفرد والمجتمع .

الكلمات المفتاحية: النسبية، القيم الوجودية ، سارتر، السوفسطائيون، اللذة، المنفعة

The intellectual reference for the relativity of moral values in - contemporary Western thought - existentialism as a model

Alshahat Abdel-Moati Abdel-Salam Aql.
Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouk, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: alshahatabdelmuty.2230@azhar.edu.eg

Abstract:
The research aims to clarify the meaning of relativity in linguistic dictionaries, as well as clarify the concept of relativity in terminology and in philosophical dictionaries. This research also aims to present the primary intellectual roots and ancient philosophical origins that were the basis and reference for saying that values are relativity in general and moral values in particular. The research also aims to clarify the impact that ancient Western philosophies left on contemporary Western thought, which led to many contemporary philosophies adopting the saying that values are relativity and rejecting saying everything that is absolute and fixed. This research also aims to highlight the danger of saying that moral values are relativity on individuals and societies. In this research, I relied on the analytical and critical approach. As for the recommendations that must be taken into account and paid attention to, they are represented in studying Western ideas and doctrines with great precision to clarify what they contain of conflict and violations with the Islamic faith, for fear that the weak-minded and those with little knowledge will be influenced by them and embrace doctrines that may affect their faith or lead them to polytheism without knowledge or awareness .As for the results of the research, the most important of them is that saying that morals are relativity was not a product of contemporary thought, but rather its roots extend to thought. Al-Younai, and that saying that moral values are relativity makes ethics a subject that is open to refutation and criticism, knowing that it is a normative science. Also, one of the results of saying that morals are relativity is the prevalence of racism and the spread of extremism, which leads to the corruption of the individual and society.

Keywords: Relativism, Existential, Values, Sartre, Sophists, Pleasure, Utility.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم طريقا إلى الهدى والنور ، مصداقا لقوله تعالى : {يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم} (١)

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأمين ، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، والذي هدى الله به الأمة وكشف به الغمة ، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد ..

فإنه من فضل الله –تعالى– أن وفقني للكتابة في هذا الموضوع وشرح صدري لدراسته ، حيث إن موضوع النسبية والثبات في القيم عموماً وفي الأخلاق بصفة خاصة من الموضوعات التي شغلت الفكر الإنساني قديمًا ولا زال البحث فيها مطروحا إلى عصرنا هذا ، فلا زال السؤال قائماً عن طبيعة القيم الأخلاقية ، هل هي موضوعية لا حكم للأفراد فيها ، ومن ثم يكون الخير خيرا في ذاته وإن لم يترتب عليه منفعة عاجلة ، أما القيم الأخلاقية نسبية تتغير بحسب الزمان والمكان والأفراد ، ومن ثم يكون فعل الخير خيراً ليس في ذاته وإنما بحسب ما يراه كل فرد على حده .

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب أهمها:

- أنه موضوع من الخطورة بمكان ، بحيث إنه يتعرض للنيل من الدين الإسلامي والمساس بثوابته .
- أنه موضوع من الموضوعات العصرية التي كثر البحث فيها ، والتي من خلالها يحاول المغرضون طعنهم في أصول الدين ، وهدمهم لأسسه .

---

(١) سورة المائدة (آية : ١٦)

وقد جاء البحث بعنوان: (المرجعية الفكرية للقول بنسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر – الوجودية نموذجاً – .

ويتكون هذا البحث من مقدمة ، وتمهيد، وفصول ثلاثة، وخاتمة .

أما المقدمة فتشتمل على أهمية البحث وسبب اختياره .

ويشتمل التمهيد على مفهوم النسبية في اللغة والاصطلاح وكذلك مفهوم القيمة .

أما الفصل الأول فتناولت فيه بالدراسة الجذور الفكرية للقول بنسبية القيم الأخلاقية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : جذور النسبية الأخلاقية عند السوفسطائيين .

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : مفهوم السفسطة وبداية ظهور السوفسطائيين .

المطلب الثاني : نسبية القيم الأخلاقية عند السوفسطائيين .

المبحث الثاني : جذور النسبية الأخلاقية عند الأبيقوريين .

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان: نسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر – الفلسفة الوجودية نموذجاً–

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الوجودية وتاريخ ظهورها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: مفهوم الوجودية وبيان معناها.

المطلب الثاني: تاريخ ظهور الوجودية وأبرز مؤسسيها .

المبحث الثاني: نسبية القيم الأخلاقية في الفلسفة الوجودية .

وجاء الفصل الثالث بعنوان: الآثار المترتبة على القول بنسبية القيم الأخلاقية:

وفيه ثلاثة فصول:

المبحث الأول: الأسباب التي أدت إلى القول بنسبية القيم الأخلاقية .

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على القول بنسبية القيم الأخلاقية .

المبحث الثالث: الدليل العقلي على بطلان القول بنسبية القيم الأخلاقية .

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث .

الدراسات السابقة:

من خلال قراءتي لموضوع (المرجعية الفكرية للقول بنسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر– الوجودية نموذجاً –) وجدت عدداً من الدراسات السابقة لموضوع نسبية القيم ، ولكني لم أجد موضعا يحمل العنوان السابق ، وفيما يلي عرض لأهم الدراسات السابقة لهذا البحث:

- النسبية الأخلاقية/ تأليف سعد صلال – الناشر: دار أوراس ٢٥ شارع رستم حلوان – القاهرة .
- التطور والنسبية في الأخلاق / تأليف الدكتور حسام محي الدين الآلوسي ، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت .
- الفكر الأخلاقي الغربي بين فرضي النسبي والمطلق / تأليف الدكتور حسن حمود محمد الطائي – الجامعة المستنصرية – كلية الآداب – العراق .
- الأخلاق / تأليف الدكتور أحمد أمين ، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤م ، الطبعة: الثالثة – مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٠ هـ – ١٩٣١ م .
- نسبية القيم / تأليف أمل سعد القرني – جامعة أم القري – المملكة العربية السعودية – شبكة الألوكة .

تمهيد:

مفهوم النسبية في اللغة :

النسبية في اللغة تعني القرابة ، والملاءمة ، أو الصلة ، فقد ورد في المعجم الوسيط :" (النِسْبِيَّة) : الصلة أو القرابة ،...، ويُقال: يُضاف هذا إلى هذا بِنِسْبَة كذا، بمقدار كذا . يُقال: بالنسبة إلى كذا: بالنظر والإضافة إليه . و(النِسْبة المئوية): مقدار الشيء منسوباً إلى مائة "(١)

وفي معجم اللغة العربية المعاصر :" نِسْبَة (مفرد): ج نِسْبَات (لغير المصدر) ونِسَب (لغير المصدر) : مصدر نَسَبَ.- ومعناها- مقدار " بلغت نِسْبَة النجاح الثلثين" – أي مقدار النجاح – ، – كذلك فإن كلمة نسبة تعني : مُعَدَّل ، – مُعَدَّل كميّة" نِسْبة الوفيات / المواليد في البلدان النامية عنها في البلدان المتقدمة – زادت نِسْبَة توزيع المجلة هذا العام " – أي: ارتفع مُعَدَّل توزيع المجلة – ، – وتعني كلمة نِسبَة –أيضا – : التماثل بين علاقات الأشياء أو الكَمِيَّات " نسبة ٢إلي ٤ كنسبة ٥ إلى ١٠" أي تماثل ٢ إلى ٤ كتماثل ٥ إلى ١٠ – ،...، نِسْبِي (مفرد) : اسم منسوب إلى نِسْبة : خاص بالنظرية النسبية .مُقَيَّد بغيره مرتبط به ؛ عكسه مُطلق ،... الأكثرية النِسْبية: العدد الأكبر من أصوات المقترعين ، بدون بلوغ الأكثرية المطلقة ، أو زيادة أحد المرشحين في الأصوات بالنسبة إلى غيرة ولكن بدون بلوغ الأكثرية المطلقة"(٢)

يتبين مما سبق أن لفظ نِسْبِيَّة في اللغة يعني القرابة والصلة ، وأن لفظ نِسْبة يعني : مقدار ، ومُعَدَّل ، وتماثل .

---

(١) المعجم الوسيط / المؤلف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفي/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار ، – ٢/– ٩١٦ – باختصار ، الناشر: دار الدعوة.

(٢) انظر معجم اللغة العربية المعاصر/ للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفي: ١٤٢٤هـ) – ٣/ ٢٢٠٠– باختصار وتصرف ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولي ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م .

مفهوم النسبية في الاصطلاح:

ولفظ نسبي في الاصطلاح هو ما يتوقف وجوده على غيره ، يقول الدكتور جميل صليبا :

" النسبي مقابل المطلق . فإذا دل المطلق على الوجود في ذاته وبذاته ، دل النسبي على ما يتوقف وجوده على غيره. وإذا دل المطلق على الخالص من كل تعين أو تحديد دل النسبي على التابع لإحدى وحدات القياس ،...، وجملة القول: إن النسبي هو المتعلق بغيره من حيث هو غيره، أو هو المنسوب إلى المدرك من حيث هو مدرك ، أو هو ما تتألف منه العلاقات أو يتألف منها(الإضافة ، التضايف ، المتضايفان) .

والنسبية مذهب من يقرر أن كل معرفة(أو كل معرفة إنسانية) فهي نسبية. والنسبية الأخلاقية مذهب من يقرر أن فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزمان والمكان ، من غير أن يكون هذا التغير مصحوبا بتقدم معين، والمقصود بنسبية المعرفة أن المعرفة الإنسانية نسبة بين الذات العارفة والموضوع المعروف ، وأن العقل الإنساني لا يحيط بكل شيء"[١]

وفي المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية :" نسبي بوجه عام ، المقيد بغيره والمرتبط به . بوجه خاص ، ما ينسب إلى غيره ولا يتعين إلا مقرونا به ، ومنه الحكم النسبي والكمال النسبي ، ويقابل المطلق،...، النسبية صفة لكل ما هو نسبي أو إضافي"[٢]

ويقول الدكتور عبد المنعم الحفني :" نسبية: صفة للعلاقات ، فسقراط

(١) انظر المعجم الفلسفي / الدكتور جميل صليبا – ٢/ ٤٦٥،٤٦٦- باختصار ، الناشر: دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان – ١٩٨٢م .

(٢) المعجم الفلسفي / مجمع اللغة العربية – القاهرة – ، – ٢٠٠ – تصدير: الدكتور إبراهيم مدكور ، الناشر : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

ليس طويلا أو قصيرا ، ولكنه أطول من تيتانوس وأقصر من القبيادس . نسبية أخلاقية : تعني في المذهب الشكي ، بأن صواب الفعل أو الحكم إنما يكون بالنسبة للظروف التي جري فيها الفعل أو صدر في إطارها الحكم ، وأن الأخلاق مجرد قواعد غير مُلْزِمَة لغير المعتقدين فيها ، وأن من المستحيل تبرير أي فعل أخلاقي ، وأنه ليس في الأخلاق مطلقات ، ولا يمكن أن يكون لها أساس علمي ، ولا يمكن الحكم على فعل أخلاقي بالصحة أو بالخطأ ، ويؤدي ذلك منطقيا إلى تبرير اللاأخلاقية،...، نسبية المعرفة: – تعني – أن كل معرفة هي نسبة ذات وموضوع تجعل كلا منهما مشروطا بالآخر ويحده ، ولكل عقل قوالبه التي يصب فيها المعطيات ، ومن ثم تختلف صور المعرفة باختلاف العقول"[١]

مفهوم القِيْمَة في اللغة:

كلمة قيمة في اللغة تعني : القَدْر والثَمَن ، فقد جاء في المعجم الوسيط :" (القيمة) قيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه ومن الإنسان طوله ، ... ويُقال ما لفلان قيمة ما له ثبات ودوام على الأمر ، (القيوم) القائم الحافظ لكل شيء واسم من أسماء الله الحسنى (القَيِم) السَيِد وسائس الأمر ومن يتولى أمر المحجور عليه ، وقَيِم القوم الذي يقوم بشأنهم ويسوس أمرهم ، وأمر قَيِم مستقيم ، وكتاب قيم ذو قيمة ، (القَيِمَة) الأمة القيمة المستقيمة المعتدلة وفي التنزيل العزيز {وذلك دين القَيِمَة} [٢]، "[٣]

(١) انظرالمعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة / الدكتور عبد المنعم الحفني – ٨٧٥،٨٧٦ – باختصار ، الناشر: مكتبة مدبولي – ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة ، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٠ م.

(٢) سورة البَيِنَة (آية:٥)

(٣) المعجم الوسيط /مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، – ٢ / ٧٦٨ – باختصار .

ويقول الدكتور أحمد مختار في معجم اللغة العربية :" ق ي م ، قَيَّمَ يُقَيِّم ، فهو مُقَيِّم ، والمفعول مُقَيَّم ، قَيَّمَ العمل : قَدَّرَ قيمته ،...، قَيَّمَ السلعة : حدَّدَ ثمنها . قَيَّمَ وضعا : استعرض نتائجه وما حَقَّقَه من تقدم ، وقرَّر قيمة تلك النتائج"(١)

ويقول الدكتور جميل صليبا :" قيمة الشيء في اللغة قَدْره ، وقيمة المتاع ثمنه . يُقال: قيمة المرء ما يُحْسِنه ، وما لفلان قيمة ، أي ما له ثبات ودوام على الأمر. والقيمة مرادفة للثمن ، إلا أن الثمن قد يكون مساويا للقيمة ، أو زائدا عليها ، أو ناقصا عنها . والفرق بينهما أن ما يُقَدَّر عوضا للشيء في عقد البيع يسمَّي ثمنا له ، كالدراهم والدنانير وغيرها . على حين أن القيمة تَّطلق على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته ، لاعتبارات اقتصادية ، أو سيكولوجية ، أو اجتماعية ، أو أخلاقية ، أو جمالية"(٢)

نستخلص مما سبق أن مفهوم كلمة (قيمة) في معاجم اللغة هو القَدْر ، أو الثمن ، أو الثبات على الأمر وعدم التغير.

مفهوم القيمة في الاصطلاح :

لكلمة (القيمة) في الاصطلاح استعمالات متعددة تبعا للمجالات المختلفة .

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي :" كلمة "القيمة" تُسْتَعمل عادة في الاقتصاد ؛ فيُقال "قيمة" السلعة : على تفاوت بين الاقتصاديين في تحديد مفهومها وعناصرها ومعاييرها وأنواعها: فهناك قيمة الاستعمال ، وهناك قيمة التبادل: فالماء والهواء لهما قيمة كبيرة في الاستعمال ، بينما قيمتهما ضئيلة في التبادل ،إذ هما في الغالب مَجَّانيان؛ بينما الماس قيمته ضئيلة

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة – ٣ / ١٨٨٦ – باختصار .

(٢) المعجم الفلسفي / الدكتور جميل صليبا ، – ٢ / ٢١٢ – .

في الاستعمال ،وكبيرة جدا في التبادل. والاقتصاديون حين يتحدثون عادة عن القيمة يقصدون قيمة التبادل ؛ والقيمة بهذا المعني يُقصد بها السعر المُقَدَّر للسلعة ومع ذلك يُمَيَّز بين القيمة والسعر على أساس أن القيمة حقيقية بينما السعر اعتباري ،...، لكن إلى جانب هذه القيم الاقتصادية أو المادية ، توجد القيم المعنوية وتشمل: القيم العقلية أو المتعلقة بالحق: قيمة البرهان ، قيمة نظرية علمية ، قيمة كتاب...الخ؛ القيم الجمالية أو المتعلقة بالجمال: قيمة لوحة أو قطعة موسيقية أو مسرحية الخ؛ القيم الأخلاقية أو المتعلقة بالخير ، والقيمة تُعَرَّف دائما بحسب الرغبة . فيقول ريبو إن قيمة الشيء هي "قدرته على إثارة الرغبة ، وأن القيمة تتناسب مع قوة الرغبة" ،...، لكن قد يحدث أن يرغب المرء في أمور ضئيلة القيمة ويزهد في أمور عالية القيمة. ولهذا لا يمكن تقدير القيمة بحسب شدة الرغبة أو ضعفها ؛ بل ثَمَّ عوامل أخري تتدخل في ذلك التقدير. ولهذا يُسْتَبْدل بالتعريف السابق تعريف آخر وهو:" القيمة هي صفة الشيء المُعْتَبَر أنه قابل للرغبة فيه"(١)

وتُعَرَّف القيمة في الاصطلاح أيضا بأنها: صفة كامنة في الأشياء ، تتسم بالثبات وعدم التغير .

جاء في المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية :" القيمة – من حق وخير وجمال :

(أ) صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال (في المعرفة) ، والأفعال (في الأخلاق) ، والأشياء (في الفنون) . وما دامت كامنة في طبيعتها فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملابسات ، وبهذا قال المثاليون العقليون ، وبهذا المعنى تُطلب لذاتها .

(١) انظر الأخلاق النظرية / الدكتور عبد الرحمن بدوي ، – ٨٩، ٩٠ – باختصار ، الناشر: وكالة المطبوعات – ٣٧ شارع غهد السالم الكويت ، الطبعة : الثانية مايو ١٩٧٦م .

(ب) صفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء ، طبقا للظروف والملابسات وبالتالي تختلف باختلاف من يصدر الحكم ، وبهذا قال الطبيعيون من الحِسّيين والوضعيين والبراجماتيين والوضعيين المنطقيين ومن إليهم . والقيمة بهذا المعني تعني الاهتمام لشيء أو استحسانه أو الميل إليه والرغبة فيه ، ونحو هذا مما يوحي بأن القيمة ذات طابع شخصي ذاتي خلوه من الموضوعية ، وتكون وسيلة إلى تحقيق غاية "[1]

مما سبق يخلص الباحث إلى أن كلمة (القيمة) لها في الاصطلاح تعريفات متعددة بيانها فيما يلي:

ففي المجال الاقتصادي تُعَرَّف (القيمة) بأنها السعر أو الثمن المُقَدَّر للسلعة ، ويعرفها "ريبو" بأنها القدرة على إثارة الرغبة ، وأن القيمة تتناسب مع قوة الرغبة ، وقد رُدَّ على هذا التعريف بأن الإنسان قد يرغب في أمور ضعيفة القيمة ويزهد في ما هو عالي القيمة ، ولذلك عُرِفَت (القيمة) بأنها الصفة التي تجعل الشيء قابلا للرغبة فيه وشدة الإقبال عليه .

بينما كان تعريف (القيمة) عند البراجماتيين والوضعيين أنها: الاهتمام لشئ ما أو استحسانه والرغبة فيه بهدف تحقيق غاية أو منفعة ما .

أما المثاليون فقد عرفوا القيمة بأنها: صفة عينية كامنة في الأشياء (كالمعرفة والأخلاق والفنون) .

والذي أميل إليه من هذه التعريفات هو ما ذهب إليه المثاليون وذلك أنه تعريف للقيمة يتماشى مع كل الظروف ومختلف الاتجاهات كما أنه تعريف ينسحب ويتفق مع كل المجالات كالفنون والجمال والأخلاق .

(١) انظر المعجم الفلسفي /مجمع اللغة العربية ، – ١٥١ – .

أما تعريف الاقتصاديين للقيمة بأنها السعر المقدر للسلعة فلا يتفق مع معنى القيمة في مجال الأخلاق أو الفنون ، وكذلك فإن تعريف البراجماتيين والوضعيين للقيمة ، بأنه استحسان شيء ما والميل إليه لتحقيق هدف ما ، فهو تعريف يقوم على النزعة النفعية ، لا يتفق على مفهوم القيمة في المجالات الأخرى كالجمال والفنون والأخلاق .

الفصل الأول : الجذور الفكرية للقول بنسبية القيم الأخلاقية:

إن القول بنسبية القيم الأخلاقية وعدم ثباتها ليس وليد الفكر المعاصر، بل إن النسبية الأخلاقية تمتد بجذورها إلى عصر الفلسفة اليونانية ، حيث خلفياتها التاريخية وأصولها القديمة التي نشأت فيها ، وانتقلت من خلالها إلى العصور اللاحقة إلى أن وصلت إلى الفكر المعاصر.

وقد كان فكر السوفسطائيين والأبيقوريين هو الأصل لظهور النسبية في القيم الأخلاقية ، ومن ثمّ فإن هذا الفصل يشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : جذور النسبية الأخلاقية عند السوفسطائيين .

المبحث الثاني : جذور النسبية الأخلاقية عند الأبيقوريين .

المبحث الأول : جذور النسبية الأخلاقية عند السوفسطائيين .

إن الدارس لتاريخ السوفسطائيين يدرك أن النسبية كانت أهم مبادئهم، فقد تأسست نظرياتهم في الفلسفة والأخلاق على النسبية فكانت تتغير بحسب الأشخاص ، وتختلف بحسب الزمان والمكان ، فلم يكن البحث عن الحقيقة لذاتها ذا بال بالنسبة لهم ، وإنما كان يهمهم المنفعة التي يحصلون عليها من خلال هذه الحقيقة ، لذلك فلم يكونوا يلقون الخطب ويؤدون الدروس بين الشباب للعلم والمعرفة ، وإنما كانوا يفعلون ذلك بهدف المنفعة وهي الحصول على المال ، ويشتمل هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : مفهوم السفسطة وبداية ظهور السوفسطائيين .

المطلب الثاني : نسبية القيم الأخلاقية عند السوفسطائيين .

المطلب الأول : مفهوم السفسطة وبداية ظهور السوفسطائيين :

يقول الدكتور جميل صليبا :" أصل هذا اللفظ في اليونانية (سوفيسما sophisma) وهو مشتق من لفظ (سوفوس Sophos) ومعناه الحكيم أو الحاذق . والسفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة [١] ، وعند المنطقيين هي القياس المركب من الوهميّات . والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ، كقولنا: الجوهر موجود في الذهن ، وكل موجود في الذهن عرض، لينتج أن الجوهر عرض ،...، وقيل –أيضا–: أن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل ، ويُقصد به خداع الآخرين ، أو خداع النفس ، فإذا كان القياس كاذبا ، ولم يكن مصحوبا بهذا القصد لم يكن سفسطة ، بل كان مجرد غلط أو انحراف عن المنطق ،...، والسوفسطائي (sophiste) هو المنسوب إلى السفسطة ، تقول : فيلسوف سوفسطائي ونظرية

(١) مُمَوِّهَة : جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة : موَّه الحق: لبَّسَه بالباطل ، وأفسده بظواهر خَدَّاعة "عرض المتهم الحقيقة مُمَوِّهَة" ، موَّه عليه الخبر: زَوَّرَه وزخرفه ، أخبره بخلاف الحقيقة[معجم اللغة العربية المعاصرة/ د: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفَّي سنة ١٤٢٤ هـ) – ٣/ ٢١٤١ – ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولي ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

سوفسطائية . وقد أُطلق هذا اللفظ في الأصل على الحاذق في إحدى الصناعات الميكانيكية ، ثم أطلق على الحاذق في الخطابة أو الفلسفة ، ثم أطلق بعد ذلك تبذلا على كل دجال مخادع . قال (بروشار) : لقد كان السوفسطائيون القدماء يدَّعون أنهم يستطيعون أن يبرهنوا على النظريات المتناقضة بأدلة منطقية متساوية"(١)

ويقول الأستاذ يوسف كرم مبينا أن بداية ظهور السوفسطائيين كانت في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد :" شاع الجدل القضائي والسياسي – في المجتمع اليوناني في النصف الثاني للقرن الخامس قبل الميلاد – فنشأت من هاتين الناحيتين الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب المحاجَّة واستمالة الجمهور ، ووجد فريق من المثقفين المجال واسعا لاستغلال مواهبهم فانقلبوا معلمي بيان ، وهؤلاء هم السوفسطائيون ملأوا النصف الثاني من القرن الخامس – ق.م – ، وكان اسم "سوفيست" يدل في الأصل على العلم في أي فرع كان من العلوم والصناعات ، وبنوع خاص على معلم البيان ، ثم لحقه التحقير في عهد سقراط وأفلاطون ؛ لأن السوفسطائيين كانوا مجادلين مغالطين وكانوا متاجرين بالعلم . أما الجدل فقد وقفوا عليه جهدهم كله ، خرجوا من مختلف المدارس الفلسفية لا يرمون لغير تخريج تلاميذ يُحْذِقونه ، وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء ، وبإيراد الحجج الخلّابة في مختلف المسائل والمواقف ، ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة ، بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي"(٢)

(١) المعجم الفلسفي / الدكتور جميل صليبا ، – ١/ ٦٥٨،٦٦٠ – باختصار ، الناشر: دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان ، ١٩٨٢م .

(٢) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية / يوسف كرم ، – ٥٧،٥٨ – الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٣٠٠ هـ – ١٩٣٦ م .

ويقول وولتر ستيس :" ويرجع ظهور السوفسطائيين إلى الطلب المتزايد على التعليم الشعبي الذي كان مطلبا أصيلا من أجل الاستنارة والمعرفة في جانب منه ، لكنه كان في الأغلب رغبة في تعليم مثل هذه المعرفة المغرضة التي تؤدي إلى النجاح الدنيوي والسياسي بصفة خاصة ، وحمل انتصار الديقراطية معه أن الوظائف السياسية متاحة الآن للجماهير والتي كانت محجوبة عنهم ، ويمكن لأي إنسان أن يرتفع إلى ذروة المناصب في الدولة إذا كان مزودا بالمهارة والقدرة على الخطابة ، وإثارة مشاعر الدهماء ومتسلحا كليا بالتعليم ، ومن ثمّ ظهرت الحاجة لمثل هذه التربية التي تمكن الإنسان العادي من شغل منصب سياسي له. وهذه الحاجة هي التي أخذ السوفسطائيون على عاتقهم إشباعها ، فأخذوا يطوفون باليونان من مكان إلى آخر ، فألقوا المحاضرات واتخذوا لهم تلاميذ ودخلوا في مجادلات وحصلوا مقابل هذه الخدمات على أجور باهظة . لقد كانوا أول من تلقي أجرا على تعليم الحكمة في اليونان ، وليس في هذا ما يُشين في حد ذاته لكنها لم تكن عادة على وجه الإطلاق . وحكماء اليونان لم ينالوا أي أجر إطلاقا على حكمتهم ، وسقراط الذي لم يقبل أي أجر بل قدّم حكمته مجانا لكل من أرادها يفخر إلى حد ما بأنه مضاد للسوفسطائيين في هذا المجال"(١)

نستخلص مما سبق أن لفظ "السفسطة" كان يعني الحكمة المُمَوَّهة لدي الفلاسفة ، ومعنى مموهة أي مزورة ، مخادعة ، ومُلَبَّسَة بالباطل ، فكان السوفسطائي يتعمد التزوير والمخادعة في خطابه ومجادلاته ويُلَبِس الحق بالباطل بهدف خداع الشباب والتشكيك في الحقائق الثابتة، كما يتبين

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية / وولتر ستيس ، – ٩٩ – ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٨٤ م .

أن السوفسطائيين قد ظهروا في المجتمع اليوناني في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ، تحت عوامل سياسية ، ونتيجة لتزايد الطلب على التعليم الشعبي ، من أجل الاستنارة والمعرفة.

المطلب الثاني : نسبية القيم الأخلاقية عند السوفسطائيين .

لقد اشتهر عن السوفسطائيين من خلال آرائهم الفكرية ، أنهم لا يؤمنون بوجود معايير مطلقة أو حقائق ثابتة ، لذلك فهم يذهبون إلى أن القيم الأخلاقية ، بل وغير الأخلاقية قيم نسبية تختلف من شخص لآخر وتتغير من مجتمع لمجتمع ، ومن بيئة لأخرى ، فلا يوجد لدى السوفسطائيين وجود لما هو مقدس ، أو معياري يمكن الرجوع إليه لتقويم السلوك أو الأفعال ، ومن ثمّ فعلى الأشخاص أن يميزوا بين ما هو نافع أو غير نافع بناء على رؤيتهم الشخصية ، ومصلحتهم العامة ، ونظرا لأن " بروتاجوراس" هو أقدم فلاسفة السوفسطائيين ، وأهمهم ، فسوف نكتفي به كأصل ومرجع للقول بنسبية القيم الأخلاقية في الفلسفة اليونانية.

بروتاجوراس :

يقول فريدريك كوبلستون عن حياة "بروتاجوراس" :" وُلد بروتاجوراس طبقا لمعظم الروايات حوالي ٤٨١ ق.م . في مدينة أبديرا في تراقية ، ويبدو أنه جاء إلى أثينا في منتصف القرن ، وقد استمتع بصحبة بركليز[١] ، ويُقال إن الأخير وثق به فعهد إليه بمهمة وضع دستور لإحدى المستعمرات

(١) بركليز: ويقال بريكليس : كان بريكليس حاكما عسكريا عظيما انتخبه مجلس الشعب – الأثيني – لاستلام السلطة في سنة ٤٢٩ ق.م . وكان خطيبا مُفَوَّها وقد استخدم خطبه وحكمته المتبصرة في كسب الدعم لخططه وبرامجه وقد تمتع الأثينيون أثناء حكمه بأفضل أشكال الديمقراطية[أطلس حضارات العالم القديم /مراجعة :د سائر بصمه جي – ٩٣ – ترجمة: عماد الدين أفندي ، الناشر: شركة دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ، الطبعة : الثانية ٢٠١٦م – ١٤٣٧ هـ]

اليونانية وهي "توروم" التي تأسست عام ٤٤٤ ق.م . ،...، ويروي ديوجنز اللايرتي قصة مفادها أن بروتاجوراس اتهم بالتجديف بسبب كتاب ألَّفه عن الآلهة ، لكنه فرّ من المدينة قبل محاكمته ، وأنه غرق وهو يعبر إلى صقلية ؛ بينما تم إحراق كتابه في ساحة المدينة "(١)

ويقول وولتر ستيس :" وأقدم سوفسطائي معروف هو بروتاجوراس لقد ولد في أبديرا ٤٨٠ ق..م. ولقد جاب اليونان واستقر بعض الوقت في أثينا ، وعلى أية حال فقد اتهم في أثينا بالتحلل والإلحاد وهذا يستند إلى كتاب ألَّفه عن موضوع الآلهة وقد بدأه بهذه الكلمات:" أما بالنسبة للآلهة فإنني عاجز عن القول ما إذا كانت موجودة أم لا" ولقد حُرِق الكتاب علنا وكان على بروتاجوراس أن يهرب من أثينا ففرّ إلى صقلية لكنه غرق وهو في طريقه عام ٤١٠ ق.م ."(٢)

يتضح مما سبق أن بروتاجوراس هو أقدم الفلاسفة السوفسطائيين ، وأنه ذهب إلى أثينا في منصف القرن الخامس قبل الميلاد ، مما يبين أن تاريخ ظهور السوفسطائيين في اليونان كان في هذا الوقت .

آراء بروتاجوراس الفكرية :

كانت النسبية هي الأصل الذي أقام عليه بروتاجوراس فلسفته وبني عليها أفكاره.

يقول كوبلستون :" أشهر عبارة لبروتاجوراس هي ما جاء في كتابة وهي قوله:" الإنسان مقياس الأشياء جميعا، فهو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها" ، ولقد كانت هناك مجادلات كثيرة

(١) تاريخ الفلسفة /فريدريك كوبلستون ، – ١/ ١٤١ – باختصار ، ترجمة: الدكتور إمام عبد الفتاح ، الناشر: المجلس الأعلي للثقافة – شارع الجبلاية – الاوبرا – الجزيرة – القاهرة ، الطبعة: الأولي ٢٠٠٢ م .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية / وولتر ستيس ، – ١٠١ – .

حول تأويل هذا القول الشهير ، فذهب بعض الكتاب إلى أن بروتاجوراس لم يكن يقصد "بالإنسان" الإنسان الفرد ، بل الإنسان بمعني النوع ؛ ولو صحَّ ذلك فلن يكون معنى العبارة" ما يبدو لي على أنه حق فهو حق بالنسبة لي، وما يبدو لك على أنه حق فهو حق بالنسبة لك " . بل سيعني بالأحرى أن المجتمع أو الجماعة أو النوع البشري ككل هو معيار أو مقياس الحقيقة . كما دارت المجادلات أيضا حول ما إذا كانت الأشياء ينبغي فهمها على أنها تعني حصرا موضوعات الإدراك الحسي أم أنها تمتد لتشمل مجال القيم كذلك .وهذا سؤال صعب ولا يمكن مناقشته هنا بالتفصيل ، إلا أن مؤلف هذا الكتاب ليس على استعداد للتغاضي عن شهادة أفلاطون في محاورة "ثياتيتوس" حيث نجد عبارة بروتاجوراس – صحيح أنها تطورت وفق ما أباح أفلاطون لنفسه – لكنه يؤولها بغير شك على أنها تعني الإنسان الفرد بالنظر إلى الإدراك الحسي . إذ يلاحظ سقراط أنه عندما تهب ريح معينة فإن أحدا قد يشعر بالبرد بينما لا يشعر الآخر بذلك ،...، ثم يتساءل أينبغي علينا أن نوافق بروتاجوراس على أن نفس الريح تكون باردة بالنسبة للشخص الذي يشعر بالبرودة وهي ليست كذلك بالنسبة لشخص آخر؟ من الواضح تماما أن بروتاجوراس في هذه الفقرة يُفَسَّر على أنه يعني الإنسان الفرد ، وليس الإنسان بصفة عامة على الإطلاق"[١] .

والذي يخلص إليه الباحث من النص السابق أن بروتاجوراس لم يكن يذهب إلى القول بنسبية القيم فحسب ولكن يبدو من قوله " الإنسان مقياس الأشياء جميعا..." أنه يذهب إلى القول بالنسبية في كل شيء، في الأخلاق ، والمعرفة ، والدين ، وبعيدا عن المجادلات التي وقعت بين الباحثين حول فهم المقصود من عبارته الشهيرة ، أيقصد بها الإنسان كفرد ، أو الإنسان كنوع ، فهو في كلتا الحالتين لا يؤمن بما هو مقدس أو معياري يمكن

(١) انظر تاريخ الفلسفة/ فريدريك كوبلستون ، – ١ / ١٤٢ – باختصار .

الرجوع إليه ، فلو فُرض أنه يقصد الإنسان كنوع فهذا أمر مستحيل ، فاجتماع الناس في مجتمع معين أو اجتماع النوع البشري ككل على شيء ما باعتباره صحيحا أو باعتباره خطأ أمر يتنافي مع المنطق، فالعقول متفاوتة ، ولو كان ممكنا أن تجتمع عقول النوع الإنساني ككل على معرفة ما هو نافع ، أ وما هو غير نافع لما بعث الله –تعالي– الأنبياء والرسل .

ثم إن أفلاطون قد انتهى إلى أن بروتاجوراس قصد بهذه العبارة الإنسان كفرد ، فكل فرد لدى بروتاجوراس مقياس ما يراه صحيحا ، ومقياس ما يراه خطأ ، وهذا هو الأساس والأصل الذي قامت عليه النسبية .

وجاء في محاورة ثياتيتوس لأفلاطون ، أن سقراط تحاور مع ثياتيتوس بشأن قول بروتاجوراس :" الإنسان مقياس الأشياء جميعا" حيث كان سقراط يسأل وثياتيتوس يجيب ، وال "س" ترمز إلى سقراط و"ثيا" ترمز إلى ثياتيتوس ، وفيما يلي عرض جزء من المحاورة :

س : إنك لا تقول لغوا فيما يتعلق بموضوع العلم ، إنه كلام بروتاجوراس وإن اختلفت الصيغة قليلا ، لكن المعنى واحد فهو يقول ما معناه :" إن الإنسان هو مقياس كل شيء" فهو مقياس وجود الموجود منها ومقياس لا وجود غير الموجود منها ، ولعلك قرأت هذا بلا شك ؟

ثيا : لقد قرأته مرارا .

س : ألا يُفسر هذا القول على النحو الآتي : كما تظهر لي الأشياء تكون بالنسبة لي وكما تظهر لك تكون بالنسبة لك لأني وإياك بشر.

ثيا : إنه يذكر هذا المعني .

س : من المرجح في الواقع أن رجلا حكيما لا يقول هراء ولنتابع فكره. ألا يوجد لحظات تُحدث الريح فيها قشعريرة لأحدنا في حين لا تُحدث شيئا للآخر ، وتكون بالنسبة للواحد لطيفة وبالنسبة للآخر عاصفة ؟

ثيا : هذا مؤكد .

س : فعلى أي نحو تكون الريح في هذا الوقت في حد ذاتها ؟ أتقول عنها باردة أم غير باردة ؟ أم توافق بروتاجوراس على رأيه بأنها باردة للذي يقشعر وأنها ليست كذلك بالنسبة للآخر ؟

ثيا : ربما يكون كذلك "[1]

هذه فقرة وجيزة من المحاورة التي دارت بين سقراط وثياتيتوس والتي كتبها أفلاطون عن المقصود من قول بروتاجوراس :" الإنسان مقياس الأشياء جميعا ..." وقد انتهى سقراط إلى أن بروتاجوراس ليس خِرَفا ولا يقول هراء ، ومن ثمّ فهو يعي ما يقوله ويعنيه حرفيا ، فهو يقصد بقوله أن الإنسان كفرد مقياس كل شيء ، فما يراه شخصا ما نافعا فهو نافع وإن بدا لغيره ضارا وما يراه ضارا فهو ضار ، وإن كان نافعا عند آخر ، وقد ذهب سقرا ط إلى أنه على مذهب بروتاجوراس تكون الريح الواحدة باردة عند من يشعر معها بالبرودة ، ولطيفة عند من لا يشعر بذلك ، علما بأن الريح في ذاتها واحدة ، فهي إما باردة ، وإما لطيفة ، وبتطبيق مبدأ بروتاجوراس على الأخلاق يكون ما يراه إنسانا ما خيرا فهو خير وإن رآه الآخر شرا ، وما يراه شرا فهو شر وإن كان خيرا عند غيره .

ويقول راسل موضحا أن فكر بروتاجوراس كان قد انبني وتأسس على النسبية :" ويصف لنا أفلاطون في محاورته " بروتاجوراس" زيارة بروتاجوراس الثانية لأثينا ، وصفا مشوبا بشيء من السخرية ، وهو يناقش آراءه مناقشة جادة في محاورة " ثياتيتوس" ، فهو مشهور قبل كل شيء بمذهبه القائل بأن " الإنسان مقياس كل شيء: فهو مقياس أن الأشياء الموجودة موجودة ، وأن الأشياء غير الموجودة غير موجودة " ويفسر هذا

(١) انظر محاورة ثياتيتوس / تأليف أفلاطون ، – ٣٩، ٤٠ – ترجمة وتقديم : دكتورة / أميرة حلمي مطر – كلية الآداب – جامعة القاهرة ، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠٠٠م .

القول بأنه يعني أن كل إنسانا هو مقياس الأشياء جميعا ، وأنه إذا اختلف الناس ، فليس هناك حقيقة موضوعية يمكن الرجوع إليها لتصويب المصيب وتخطيئ المخطئ ، والمذهب في جوهره مذهب متشكك ، وهو في أغلب الظن مبني على " خداع " الحواس ،...، إن أفلاطون في محاورة " ثياتيتوس " يقترح تفسيرا لمذهب بروتاجوراس أن تكون فكرة أفضل من فكرة، ولو أن الفكرة لا تكون أصدق من فكرة أخرى ؛ مثال ذلك أنه لو كان شخص مصابا باليرقان ، فإن كل شيء يبدو في عينيه أصفر ، ولا معني لقولنا إن الأشياء ليست في حقيقتها صفراء ،إلا أن نقول إنها تبدو بهذا اللون أو بذاك للشخص وهو معافَي ؛ ومع ذلك فيمكننا القول بأنه لما كانت الصحة أفضل من المرض ، ففكرة الشخص وهو سليم الصحة أفضل من فكرة الشخص المصاب باليرقان ؛ وواضح أن هذا الرأي شبيه بوجهة نظر البراجماتية ، إننا إذا فقدنا الثقة في وجود حقيقة موضوعية"(١)

فيما سبق يتضح أن راسل يؤكد على أن بروتاجوراس كان يقصد بكلامه أن الإنسان مقياس كل شيء ، وأنه لا يعترف بوجود حقيقة موضوعية أو معيار ثابت يرجع إليه الناس عند الاختلاف ، وهذا يعني أن بروتاجوراس كان بمثابة الأصل الأول الذي نشأت على يديه النزعة النسبية في الأشياء جميعا ، فليست النسبية عنده مقصورة على الإدراك الحسي فحسب ، ولكنها تتسع لتشمل القيم ، ثم بين راسل أن أفلاطون لم يقنع بما قاله بروتاجوراس ، وأنه يؤدي إلى اختلاف الناس في الأشياء الثابتة ، فمريض اليرقان يري كل شيء باللون الأصفر ، علما بأن الأشياء ليست صفراء في ذاتها ، فوفقا لمذهب بروتاجوراس – الإنسان مقياس كل شيء – يكون مريض اليرقان صادقا فيما يرى ، علما بأن الحقيقة على خلاف ما يرى تمامًا .

(١) انظر تارخ الفلسفة الغربية / براتراند راسل ، – ١ / ١١٨،١١٩ – باختصار ، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود ، مراجعة: د/ أحمد أمين ، الناشر: مؤسسة هنداوي –٢٠٢٣ م .

أما اقتراح أفلاطون تفسيرا لمذهب بروتاجوراس باعتبار فكرة أفضل من فكرة ، ففكرة الإنسان وهو صحيح أفضل من فكرته وهو مريض ؛لأن الصحة أفضل من المرض، حيث إن المريض باليرقان مثلا يرى الأشياء صفراء ، بينما لا يراها الصحيح كذلك ، فهو اقتراح لا يحل الإشكال لأنه لا يخرج هو الآخر عن النسبية ، فالأشياء في ذاتها إن كانت صفراء فهي صفراء ، وإن كانت غير صفراء فهي كذلك .

ويقول كوبلستون في إطار عرضه لتعاليم بروتاجوراس الأخلاقية :

" ما هي إذن تعاليم بروتاجوراس الفعلية فيما يتعلق بالأحكام والقيم الأخلاقية ؟ يصوره أفلاطون في محاورة ثياتيتوس على أنه يقول إن الأحكام الأخلاقية نسبية (لأنني اعتقد أن العادات التي تبدو صالحة ومقبولة بالنسبة لأية دولة جزئية ، هي كذلك بالنسبة لهذه الدولة ، طالما أنها تأخذ بها) وأن الرجل الحكيم ينبغي عليه أن يحاول أن يستبدل العادات والأعراف السليمة بالأعراف غير السليمة . وبعبارة أخرى ليس هناك مجال للسؤال عما إذا كانت وجهة نظر أخلاقية تكون صادقة وأخرى تكون كاذبة ، لكن هناك مجال للسؤال عما إذا كانت إحدى وجهات النظر الأخلاقية أكثر صحة من غيرها أعني أكثر نفعا أو فائدة من غيرها ." وبهذه الطريقة يصبح من الصواب أن نقول إن بعض الناس أكثر حكمة من غيرهم ، وأنه لا أحد يفكر تفكيرا كاذبا تماما"[1]

والظاهر مما سبق أن محاورة "ثياتيتوس" لأفلاطون تعد مصدرا رئيسا لأفكار بروتاجوراس وفلسفته ، وقد أكد أفلاطون خلال هذه المحاورة أن بروتاجوراس كان يذهب صراحة إلى القول بنسبية القيم الأخلاقية ، إذ كان

(١) انظر تاريخ الفلسفة/ فريدريك كوبلستون ، – ١ / ١٤٤ ، ١٤٣ – .

يرى أن كل وجهات النظر الأخلاقية صحيحة ، ومن ثمّ فالكاذب مصيب والصادق –أيضا– مصيب ، فالذي يفعل الخير مصيب والذي يفعل الشر مصيب ، ومرجع كل هذا هو مبدؤه القائل بأن الإنسان مقياس كل شيء ، هذا المبدأ الذي أدى إلى قلب الحقائق ، والتشكيك في الثوابت ، ونفي الثقة في الحقائق الموضوعية .

ويقول الدكتور محمد غلاب موضحا المذهب العام للسوفسطائيين: " دفع تناقض المذاهب السابقة السوفسطائيين إلى الإجماع على إنكار الحقيقة المطلقة ، وعلى الجزم باستحالة الحكم العام ، وحملهم على المناداة بأن الحقائق كلها اعتبارية وبأن مقياس كل واحدة منها هو الشخص الذي يدين بها ، ويُعتبر هذا المبدأ أساس مذهبهم العام ، بل هو النقطة الجوهرية التي ربطت بينهم والتي يتلاقون جميعا عندها"(١).

ويذهب وولتر ستيس إلى ما ذهب إليه جل الباحثين من أن تعاليم بروتاجوراس كانت أصلا من الأصول التي قامت عليها النسبية فيقول:

" وبروتاجوراس هو صاحب القول الشهير " الإنسان هو معيار كل الأشياء ، معيار ما هو موجود فيكون موجودا ، ومعيار ما ليس بموجود فلا يكون موجودا " وهذا القول يلخص في عبارة واحدة تعاليم بروتاجوراس كلها . وفي الحقيقة أنه يحتوي على شكل حقيقي للفكر الشامل للسوفسطائيين ،...، وهو لا يقصد بالإنسان البشرية – أي البشر ككل – على الإطلاق ، بل يقصد الإنسان الفرد . وهو يقصد بمعيار جميع الأشياء مقياس حقيقة الأشياء كلها ، إن كل إنسان فرد هو مقياس ما هو حقيقي بالنسبة له ، وليست هناك حقيقة سوى إحساسات وانطباعات كل إنسان .

(١) الفلسفة الإغريقية / الدكتور محمد غلاب ، – ١/ ١٤٥ – ، الناشر: مطبعة البيت الأخضر ١٨ شارع الشيخ عبد الله بمصر ، الطبعة: الأولي ١٩٣٨ م .

وما يبدو صادقا بالنسبة لي صادق بالنسبة لي ، وما يبدو صادقا بالنسبة لك صادق بالنسبة لك ،...، وما تقصده هذه التعاليم هو أنه لا توجد حقيقة موضوعية ، ولا توجد حقيقة مستقلة عن الذات الفردية . وما يبدو للفرد على أنه حقيقي هو حقيقي بالنسبة لهذا الفرد . وهكذا فإن الحقيقة متطابقة مع الإحساسات والانطباعات الذاتية"(١).

يتبين فيما ذهب إليه جُلّ الباحثين من غربيين وشرقيين أن مذهب بروتاجوراس فيما يتعلق بالقيم الأخلاقية كان مذهبا قائما على النسبية ، بل إن النسبية كانت الأصل الذي قامت عليه فلسفة بروتاجورا والسوفسطائيين بشكل عام سواء فيما يتعلق بالمعرفة أو فيما يتعلق بالأخلاق ، فاعتبار الإنسان مقياسا لكل شيء كان نتيجة حتمية لاعتقاد السوفسطائيين بأن الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة .

المبحث الثاني : جذور النسبية الأخلاقية عند الأبيقورية .

بني الأبيقوريون مذهبهم في الأخلاق على المنفعة ، فعندهم أن الفضيلة ليست خيرا في ذاتها ، وإنما تُعد خيرا بقدر ما تحقق لصاحبها من لذة ، ويشتمل هذا المبحث على نشأت الأبيقورية ، وبيان مذهبهم في الأخلاق .

أبيقور:

يقول فريدريك كوبلستون :" وُلد أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية في ساموس samos عام ٤١/٣٤٢ . ق. م. وفي " ساموس" استمع إلى فيلسوف أفلاطوني هو"بامفليوس pamphilus" ثم بعد ذلك استمع في طوس إلى " نوزيفان nousiphanes" ، من أتباع ديمقريطس ، الذي كان له تأثير ملحوظ عليه ؛ رغم منازعات "أبيقور" معه فيما بعد ، وعندما كان

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية / وولتر ستيس ، – ١٠٣ ،١٠١ – باختصار .

في الثامنة عشرة جاء إلى أثينا للخدمة العسكرية ، ويبدو أنه في هذا الوقت كرّس نفسه للدراسة في "كولوفون" . وفي عام ٣١٠ علّم في " متلين" رغم أنه ارتحل بعد ذلك إلى " لامبسكوس" – وفي عام ٣٠٦/٣٠٧ رحل إلى أثينا وافتتح مدرسة فيها . وتأسست المدرسة في حديقة أبيقور الخاصة ، ونحن نعرف من " ديوجينز اللايرتي" . أن الفيلسوف تنازل بإرادته عن المنزل والحديقة لتلاميذه . ومن موقع المدرسة استمد الأبيقوريون اسمهم "أصحاب الحديقة" – ،...، كان أبيقور مؤلفا غزير الإنتاج ٠ تبعا لرواية ديوجينز اللايرتي فقد كتب ٣٠٠ كتاب) إلا أن معظم مؤلفاته فُقدت ؛ غير أن ديوجينز اللايرتي يذكر ثلاث رسائل تعليمية ، منها رسالة إلى "هيرودوت"و"منيكايوس" اعتبرت أصيلة ، ورسالة إلى بيوكليس – اعتبرت نصا مقتبسا من كتاب أبيقور أعدَّها تلميذ له ؛ وقد بقيت لنا –أيضا– شذرات من كتابه الرئيسي "في الطبيعة" من مكتبة بيسو الأبيقوري"[١] .

والذي يبدو فيما ذكره "كوبلستون" في النص السابق أن المدرسة الأبيقورية تأسست في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث كان هذا التاريخ هو بداية ظهور الأبيقوريين في أثينا ، كما يظهر مما سبق أن أبيقور كان قد تأثر أثناء دراسته وتعليمه بأحد أتباع ديمقريطس .

نسبية القيم الأخلاقية عند الأبيقورية :

كانت الغاية التي قامت عليها الأخلاق الأبيقورية هي الوصول إلى اللذة ، وتجنب الألم ، فمقياس صحة الفضائل وعدم صحتها لدي أبيقور هي اللذة .

يقول راسل :" كان أهم ما ترمي إليه فلسفة أبيقور ، وشأنها في ذلك كشأن كل فلسفات عصره (مع استثناء جزئي لجماعة الشكَّاكين) ، أن تظفر

(١) انظر تاريخ الفلسفة / فريدريك كوبلستون ، – ١ / ٥٣٦ ، ٥٣٥ – باختصار .

للناس بهدوء النفس ؛ فقد اعتبر اللذة هي الخير ، ثم استمسك بكل النتائج التي تترتب على هذا الرأي ، استمساكًا خلا من التناقض خلوًا يستوقف النظر ، فهو يقول:" إن اللذة هي أول الحياة المباركة وآخرها ، ويروي عنه " ديوجينز ليرتيوس" أنه قال في كتاب له عن "نهاية الحياة" : " إنني لا أدري كيف أستطيع أن أتصور فكرة الخير ؛ إذا أنا استبعدت لذائذ حاسة الذوق ، واسبعدت لذائذ الحب ، ولذائذ حاستي السمع والبصر " وأنه قال أيضا :" إن بداية كل خير وجذوره الأولى ، هي لذة المعدة ، فحتى الحكمة والثقافة لابد أن تتصلا بهذه اللذة بعض الاتصال". وهو يزعم أن لذائذ العقل هي التفكير في لذائذ الجسد ،...، فكلمة "الفضيلة" إذا لم يُقصد بها " مراعاة الحكمة في التماس اللذة " فهي كلمة فارغة من المعني"[١]

ويقول كوبلستون :" ولقد جعل أبيقور من اللذة غاية الحياة . فكل موجود يُصارع من أجل اللذة ، وتعتمد السعادة على اللذة : " .. إننا نؤكد أن اللذة هي بداية وغاية الحياة السعيدة . فلو تعرفنا على ذلك على أنه الخير الأول ، الفطري فينا ، وأنه القاعدة التي ننطلق منها في تحديد ما ينبغي اختياره . وما ينبغي تجنبه . والمرجع الذي نلجأ إليه كلما اتخذنا من الإحساس معيارا للخير ،...، الفضيلة هي حالة السكينة أو طمأنينة النفس ، ورغم أن أبيقور يقدِر قيمتها بالطبع تبعا لقدرتها في إحداث اللذة فالفضائل مثل البساطة ، والاعتدال ، والعفة ، والبشاشة أو طلاقة المُحَيَّا هي من الأمور المفضية إلى السعادة واللذة أكثر من الترف الذي لا كابح له ، أو الطموح المحموم وما إلى ذلك " ليس من الممكن أن نعيش في سعادة دون أن نعيش على نحو شريف ، وعادل ، وحكيم ، كما أنه لا يمكن أن تعيش على نحو شريف ، وعادل ، وحكيم دون أن تكون سعيدا .. فالرجل العادل

(١) انظر تاريخ الفلسفة الغربية / براتراند راسل ، – ١ / ٣٢١ – باختصار .

هو أكثر الناس تحررا من القلق والانزعاج . أما الرجل الظالم فهو فريسة دائمة لهذا القلق والانزعاج" . فالظلم ليس شرا في ذاته ، وهولا يكون له هذا الطابع إلا لأنه ارتبط بالخوف وعدم الإفلات من أولئك الذين نيطت بهم أفعال العقاب المدموغة بهذا الطابع" . " عندما لا يتفق الشيء الذي قلنا إنه عادل مع انطباعات العقل فذلك برهان على أن هذا الشيء لم يكن عادلا حقا. وبنفس الطريقة عندما لا يُظْهر الشيء الذي قلنا إنه عادل أي قدر من الاتفاق مع المنفعة ، فإن ذلك الشيء الذي كان عادلا بمقدار ما كان نافعا في العلاقات الاجتماعية والروابط البشرية – يَكُفّ عن أن يكون عادلا في نفس اللحظة التي يتوقف فيها عن أن يكون نافعا"[١] .

يُستخلص مما سبق أن أبيقور يربط بين الأخلاق وبين المنفعة ، فالأخلاق في الفلسفة الأبيقورية أخلاق نفعية مرهونة بما تقدمه من لذة لكل فرد ، ومن ثمّ فالفضائل لدي أبيقور ليست خيرا في ذاتها وإنما هي خير بمقدار ما تُحدثه من لذات في نفوس من يعتقدون بها ، كما نستخلص من النصوص السابقة أن أبيقور يرى أن الظلم ليس شرا في ذاته ، وإنما هو شر لما يتسبب به من خوف مرتكبه ألا يستطيع الإفلات من العقاب المترتب على ارتكاب هذا الظلم ، والواقع أن الظلم شر في ذاته ، كما أن العدل خير في ذاته ، كما يتبين من قول أبيقور أنه وقع في دور صريح ذلك أنه قال:" لا يمكن أن نعيش في سعادة دون أن نعيش على نحو شريف ، كما أنه لا يمكن أن تعيش على نحو شريف دون أن تكون سعيدا "، فهو بذلك قد جعل العيش السعيد متوقفا على الشرف ، وجعل الشرف متوقفا على العيش السعيد ، وهذا دور باطل.

(١) انظر تاريخ الفلسفة / فريدريك كوبلستون و – ١ / ٥٤٥ ، ٥٤٢ – باختصار .

يقول أبيقور في "الرسائل والحكم" :" إن اللذة هي بداية الحياة السعيدة وغايتها ، وهي الخير الأول الموافق لطبيعتنا والقاعدة التي ننطلق منها في تحديد ما ينبغي تجنبه ، وهي أخيرا المرجع الذي نلجأ إليه كلما اتخذنا الإحساس معيارا للخير الحاصل لنا . ولما كانت اللذة هي الخير الرئيسي والطبيعي ، فإننا لا نبحث عن أية لذة كانت بل نحن نتنازل أحيانا عن لذات كثيرة نظرا لما تُخلِفه من إزعاج ، كما أننا نُفضّل عليها آلاما شديدة إذا ما كانت هذه الآلام تسمح بعد مكابدتها طويلا بالفوز بلذة أعظم . وعلى هذا الأساس فإن كل لذة هي في ذاتها خير ، إلا أنه لا ينبغي أن نبحث عن كل اللذات ، وفي نفس السياق كل ألم هو شر ، إلا أنه لا ينبغي أن نتجنب كل ألم بأي ثمن أيًّا ما كان الأمر يجب أن نحسم القرار في كل ذلك انطلاقا من الفحص الدقيق لما هو مفيد ولما هو ضار ، ومن المقارنة بينهما ، إذ تجدنا أحيانا ننظر إلى الخير كما لو كان شرا ، وإلى الشر كما لو كان خيرا"[١] .

والذي يبدو وفقا لما قاله أبيقور في هذا النص ، أنه يجعل الحواس هي المعيار الأساسي للخير الذي يحصل للفرد ، وأن هذا الخير هو اللذة سواء كانت لذة حسية أو لذة عقلية ، كما يذهب أبيقور إلى أن كل لذة هي خير في ذاتها ، وهذا مبدأ خطير يترتب عليه أن تكون اللذة الناتجة عن ارتكاب الفواحش خيرا في ذاتها ، وكذلك اللذة التي يحصل عليها السارق من تناول الطعام المسروق ، كما يتبين من قول أبيقور أنه أقام فلسفته الأخلاقية على المنفعة ، فحيثما كانت الفضائل الأخلاقية وسيلة للحصول على اللذة فهي صحيحة ومقبولة لدي الأبيقوريين ، وإلا فهي ليست ذات

(١) انظر كتاب" الرسائل والحكم " / تأليف الفيلسوف اليوناني الشهير " أبيقور" ، – ٢٠٦ ،٢٠٥ – ، دراسة وترجمة : د/ جلال الدين سعيد ، الناشر: الدار العربية للكتاب ، بدون .

قيمـــة ، فـــالأخلاق إذن ليســـت خيـــرا فـــي ذاتهـــا ، وهـــذا قلـــب للحقائق ، ومن ثمّ فالأخلاق لدي أبيقور نسبية يمكن قبولها أو رفضها بناء على ما يترتب عليها من لذة .

الفصل الثاني : نسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر – الفلسفة الوجودية نموذجا–

إن الوجودية تيار فلسفي ظهر في القرن العشري ، يذهب أنصاره إلى أن الوجود سابق على الماهية ، فالوجودية تهتم في الأساس بفهم الوجود عموما ، والوجود البشري بشكل خاص ، حيث يركز الوجوديون على دراسة الطبيعة الإنسانية ، والتجارب الشخصية لكل فرد ، كما تهتم الوجودية بالحرية الشخصية كأساس للتفكير .

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الوجودية وتاريخ ظهورها .

المبحث الثاني: نسبية القيم الأخلاقية في الفلسفة الوجودية .

المبحث الأول: مفهوم الوجودية وتاريخ ظهورها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: مفهوم الوجودية وبيان معناها.

المطلب الثاني: تاريخ ظهور الوجودية وأبرز مؤسسيها .

المطلب الأول: مفهوم الوجودية وبيان معناها.

جاء في المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية :" وجودية : مذهب يقوم على إبراز الوجود وخصائصه وجعله سابقا على الماهية – فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية ، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يصنع نفسه بنفسه ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه . وصُرف بهذا النظر عن البحث في الوجود الميتافيزيقي الذي قال به أرسطو قديما ، وركز بحثه على الإنسان الواقعي المشخص ، قال بها ياسبرز، وهيدجر ، وعزّزها بوجه خاص جان بول سارتر : وشاعت في اللغة الفلسفية والأدبية في العشرين سنة الأخيرة . ثم أخذت في التدهور"[(١)] .

ويقول الدكتور جميل صليبا :" الوجودية بالمعنى العام إبراز قيمة الوجود الفردي ، وهي مذهب (كيرجارد)، (ياسبرز) ، (هيدجر) ، ... ولهذا المذهب خصائص عامة ، منها القول بوجوب الرجوع إلى الوجود الواقعي...، والوجودية بالمعنى الخاص هي المذهب الذي عرضه ج.ب.سارتر في كتاب الوجود والعدم ، ونشره في الجمهورية بواسطة مسرحياته ، ورواياته ، ومقالاته . وخلاصة هذا المذهب قول (سارتر): إن الوجود متقدم على الماهية ، وأن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار ، يصنع نفسه بنفسه ، ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه ، وهذا مضاد لقول القدماء: إن الماهية متقدمة على الوجود ، وإن الوجود أمر زائد على

(١) لمعجم الفلسفي / مجمع اللغة العربية ، – ٢١١ – ، تصدير: الدكتور إبراهيم مدكور ، الناشر : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

الماهيـة . ولا يمكـن فهـم مـذهب (سـارتر) علـى حقيقتـه إلا بـالرجوع إلـى (هيدجر) ، فسارتر يقول : إن الوجود متقدم على الماهية ، و(هيدجر) يعلن أن ماهية الإنسان هي الوجود الذي يخصه أي(الدازاين) وهو كيفية وجوده في العالم"[١] .

ويقول سارتر في كتابه " الوجودية مذهب إنساني" موضحا معني قوله بأن الوجود سابق على الماهية:

" والآن مـاذا نعنـي عنـدما نقـول إن الوجـود سـابق علـى الماهيـة؟ إننـا نعنـي أن الإنسـان يوجـد أولا ، ثـم يتعـرف إلـى نفسـه ، ويحتـك بالعـالم الخارجي ، فتكون له صفاته ، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده ، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة، فذلك لأنه قد بدأ من الصفر . بـدأ ولـم يكـن شـيئا ، وهـو لـن يكـون شـيئا إلا بعـد ذلـك ، ولـن يكـون سوى ما قدَّره لنفسه . وهكذا لا يكون للإنسان شيء اسمه الطبيعة البشرية ، لأنه لا يوجد الرب الذي تَمَثَّلَ وجود هذه الطبيعة وحقَّقها لكل فرد طبقا للفكرة المسبقة التي لديه عن كل. إن الإنسان يُوجد ثم يريد أن يكون ، ويكون ما يريد أن يكونـه بعد القفزة التـي يقفزها إلى الوجود ، والإنسان ليس سوى ما يصنعه هو بنفسه . هذا هو المبدأ الأول من مبادئ الوجودية "[٢] .

والذي يخلص إليه الباحث من النقول السابقة هو أن الفلسفة الوجودية تعنـي لـدى أنصـارها التركيـز علـى الوجـود الإنسـاني باعتبـاره سـابقا علـى الماهيـة ، فالإنسـان يُوجد أولا عاريـا عن الماهيـة ، لا يمتلك لنفسـه طبيعـة شخصية معينة ، ثم يختار لنفسه بعد ذلك الشخصية التي يحب أن يكون عليها وذلك من خلال تجاربه الحرة ، فالإنسان في الوجودية يتمتع بالحرية

(١) انظر المعجم الفلسفي / الدكتور جميل صليبا – ٢ / ٥٦٥ – باختصار ، الناشر: دار الكتاب اللبناني – بيروت لبنان ١٩٨٢ م .

(٢) انظر كتاب الوجودية مذهب إنساني / جان بول سارتر ، – ١٤ – ترجمه عن الفرنسية: الدكتور عبد المنعم الحفني ، الناشر: مطبعة الدار المصرية للنشر والتوزيع ٣٢ شارع سامي بالمالية – القاهرة ، الطبعة: الأولي ١٩٦٤ م .

المطلقة التي يختار بها الأفعال والتجارب والانفعالات التي تحدد ماهيته ، فمثلا إذا كان الإنسان قبيحا فهو وإن كان لا يملك أن يغير من شكله أو ملامحه إلا أنه حر في انفعالاته تجاه ذلك ، فهو يملك أن يكون راضيا عن وجوده على هذا القبح أو ساخطا على ذلك ، كما يتبين مما سبق أن الفلسفة الوجودية فلسفة ملحدة حيث ذهب سارتر بأن الإنسان لن يكون إلا ما قدّره لنفسه ، مصرحا بإنكار الرب ، وتجاهل الطبيعة البشرية ، فالإنسان في الفلسفة الوجودية على ما فُهم من تصريحات سارتر هو سيد نفسه ، وهو أيضا سيد الطبيعة البشرية الخاصة به ، فحقيقة كل إنسان في الوجودية ، هو وجوده الوقعي .

ويبين سارتر في كتابه " الوجود والعدم " ، أن كل شيء في الفلسفة الوجودية يكون بالفعل ، فليس هناك ما هو بالفعل ، وما هو بالقوة فيقول :

" فكل شيء بالفعل وليس وراء الفعل قوة ولا "حال" ولا قدرة . فنحن نرفض مثلا أن نفهم من "العبقرية" – بالمعني الذي نقصده حين نقول إن بروست "كان ذا عبقرية" أو "كان" عبقرية – أنها قوة خاصة لإنتاج بعض الأعمال ، لا تستنفد في إنتاج هذه الأعمال . إن عبقرية بروست ليست أعماله مأخوذة على حدة ، ولا القدرة الذاتية على إنتاجها : إنها الأعمال منظورا إليها على أنها جماع تجليات الشخص . وهذا هو السبب في أننا نستطيع أن ننبذ ثنائية الظاهرة والماهية . إن الظاهر لا يُخفي الماهية ، بل يكشف عنها : إنه هو الماهية ، فماهية الموجود ليست قوة مغروزة في جوف ذلك الموجود ، بل هي القانون الجلي الذي يهيمن على توالي تجلياته ،...، وهكذا نجد أن الوجود الظاهري يتجلي ، ويكشف عن ماهيته وعن وجوده ، وهو ليس إلا السلسلة المترابطة المؤلفة من هذه التجليات "[١] .

والذي يبدو من قول سارتر أن كل شيء في الوجودية إنما هو

(١) انظر كتاب الوجود العدم / جان بول سارتر ، – ١٥ ، ١٤ – باختصار ، ترجمة: الدكتور عبد الرحمن بدوي ، الناشر: منشورات دار الآداب – بيروت ، الطبعة: الأولي ١٩٦٦ م .

بالفعل أي بارز وظاهر بلا خفاء ، فالوجود ظاهر والماهية ظاهرة ، فلم تكن الصفات الدقيقة التي يتصف بها الفرد والتي تكون حقيقته وماهيته كالعبقرية مخفبة في باطنه ، أو مغروزة في جوفه ، وإنما هي مجموع تجليات الشخص ، فليست ماهية الإنسان موجودة فيه بالقوة على معنى أنها ليست ظاهرة أو معلومة ، وإنما الوجود الظاهري للفرد يُنظر إليه باعتباره كاشفا عن وجوده كموجود واقعي ، وعن ماهيته ، التي هي سلسلة من التجليات التي تبرز وجوده وتظهره ، وبذلك يزعم سارتر أنه أزال الثنائية بين الماهية والوجود ، وجعلهما شيئا واحدا .

ومما تقدم يتبين أن الإنسان هو موضوع الاهتمام في الفلسفة الوجودية ، فكل إنسان له الحرية المطلقة في اختيار الحياة التي يريدها ، والأهداف التي يرغب فيها ، ولا يحق لأحد أن يتدخل في اختيارات الغير ورغباته أو أن يغير فيها .

المطلب الثاني : تاريخ ظهور الفلسفة الوجودية وأبرز مؤسسيها .

ظهرت الوجودية وتشكلت كتيار فلسفي مكتمل له مبادئه العامة وأفكاره الخاصة في الفكر الغربي خلال النصف الأول من القرن العشرين للميلاد.

يقول إ. م. بوشنسكي:" فإن من المؤكد أن الفلسفة الوجودية تيار فلسفي لم يتشكل إلا في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي في الحضارة الغربية ، وأن أصوله لا تتعدي كيركيجارد ،...، نظن أنه من المناسب في إطار هذا العرض أن نجمع أولا الفلاسفة الذين يعدون ضمن المدرسة الوجودية ، وأن نحاول ثانيا استخلاص ما يجمع بينهم ويكون مشتركا عندهم . هناك فلاسفة أربعة على الأقل في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي يوصفون بأنهم وجوديون من غير منازعة من أحد؛ جابريل مارسيل ، كارل ياسبرز ، مارتن هيدجر ، وجان بول سارتر . وهم جميعا يعلنون انتسابهم إلى كيركجارد الذي يعد فيلسوفا وجوديا مؤثرا في

القرن العشرين رغم بعده في الزمان ،...، والسمة المشتركة الرئيسية بين مختلف الفلسفات الوجودية في القرن العشرين الميلادي تقوم في أنها جميعا تنبع ابتداء من "تجربة" حية معاشة تسمي تجربة "وجودية" ، ومن الصعب تعريفها تعريفا دقيقا ، وهذه التجربة الوجودية تختلف بين فيلسوف وآخر من هؤلاء الوجوديين ، وهكذا فإن تلك التجربة تأخذ في حالة ياسبرز شكل إدراك هشاشة الوجود ، وفي حالة هيدجر شكل تجربة " السير باتجاه الموت" ، وفي حالة سارتر شكل تجربة الغثيان ، ولا يُخفي الوجوديون أبدا أن فلسفتهم نشأت من تجربة من هذا القبيل "[١] .

والظاهر من كلام بوشنسكي أن الوجودية ظهرت كتيار فلسفي في أوائل القرن العشرين ، وأن أصولها ترجع إلى سورين كيركجارد لا تتجاوزه وهذا يعني بحسب بوشنسكي أن الفلسفة الوجودية لم يكن لها جذور قبل كيركجارد ، والحق أن هذه دعوى قد تحتاج إلى مراجعة ، كما ظهر من قول بوشنسكي أن أبرز المؤسسين للتيار الوجودي والمطورين له بعد كيركجارد هم: جابريل مارسيل ، وكارل ياسبرز ، ومارتن هيدجر ، وجان بول سارتر ، وأن السمة المشتركة بين فلاسفة الوجودية جميعا هي قيام هذه الفلسفة بناء على تجربة شخصية عاشها كل منهم وبنا عليها فلسفته عن الوجود.

ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوي مبينا أن للوجودية جذورا في الفلسفات القديمة :

" والوجودية أيضا من أقدم المذاهب الفلسفية؛ لأن العصب الرئيس للوجودية هو أنها فلسفة تحيا الوجود ، وليست مجرد تفكير في الوجود . والأولى يحييها صاحبها في تجاربه الحية وما يعانيه في صراعه مع الوجود

(١) انظر الفلسفة المعاصرة في أوربا / إ. م. بوشنسكي ، – ٢١٠ ، ٢١٣ – باختصار ، ترجمة: د . عزت قرني ، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٧٨ .

في العالم . أما الثانية فنظر مجرد إلى الحياة من خارجها وإلى الوجود في موضوعه . ومن هنا كان من الممكن أن نجد البذور الأولى لهذه الفلسفة التي تحيا الحياة وتجد الوجود لدي بعض المفكرين والفلاسفة من أقدم العصور ، وهم الذين أحالوا تجاربهم الحية إلى معان فلسفية ، ونذكر منهم في العصر اليوناني سقراط ومن قبله برمنيدس ثم أفلوطين ؛ ،...، وفي العصور الوسطي الأوربية القديس أوغسطين ، وفي مستهل العصر الحديث بسكال . بيد أن ما لديهم ليس إلا لمعات خاطفة وبوادر لامعة انتشرت في ثنايا اتجاهاتهم ولا تؤلف تيارا واضحا ، فهيهات أن تكون مذهبا . ولهذا فإن الأب الحقيقي الأول للوجودية ليس واحدا من هؤلاء ، بل لابد أن نصل إلى النصف الأول من القرن الماضي لنجده ، وهو سيرن كيركجور المفكر الدانماركي الذي ولد سنة ١٨١٣ وتوفى سنة ١٨٥٥ في كوبنهاجن"[١] .

يتبين من ذلك أن الدكتور بدوي يختلف مع ما ذهب إليه بوشنسكي حيث يرى الأخير أن الفلسفة الوجودية ليس لها أصول قبل كيركجارد ، بينما يري الدكتور بدوي أن الفلسفة الوجودية كان لها جذور قبل كيركجارد متمثلة في سقراط اليوناني ، وأوغسطين في العصور الوسطي ، وبسكال في العصر الحديث ، وللتوفيق بين وجهتي النظر هاتين نقول كما بين الدكتور بدوي أن التفكير الوجودي قبل كيركجارد كان بمثابة لمحات خاطفة لا ترقي لأن تكون تيارا فلسفيا متكاملا ، وأن الوجودية كمذهب فلسفي مستقل بأفكاره ومبادئه لم تكتمل أو تتشكل إلا على يد كيركجارد في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي .

(١) انظر دراسات في الفلسفة الوجودية / الدكتور عبد الرحمن بدوي ، – ٢٠ – باختصار ، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، الطبعة: الأولي ١٩٨٠م – ١٤٠٠ هـ .

المبحث الثاني: نسبية القيم الأخلاقية في الفلسفة الوجودية:

تبين فيما سبق أن الفلسفة الوجودية تدعو إلى الحرية المطلقة ، فالإنسان بمقتضي هذه الفلسفة يتمتع بحرية غير محدودة أو مقيدة بدين أو عُرف ، ومن ثم فهي فلسفة تحرض الإنسان على التحلل من كل الموروثات القديمة سواء فيما يتعلق بالدين أو بالأخلاق ، وتدعوه أن يفعل ما يعتقد أنه صواب لنفسه ، وفي هذا رجوع صريح إلى الفكر السوفسطائي المبني على أن الإنسان مقياس الأشياء جميعا ، ولما كان فلاسفة الوجودية من الكثرة فإننا سنكتفي بالحديث عن الفيلسوف " جان بول سارتر" كممثل للقول بنسبية القيم الأخلاقية في الفلسفة الوجودية .

جان بول سارتر:

كاتب وفيلسوف فرنسي ولد في باريس في سنة ٢١ حزيران ١٩٠٥ ، ومات فيها في ١٥ نيسان ١٩٨٠ . أنشأته أمه التي ترملت عام ١٩٠٦ ، وكانت كاثوليكية ومعها جده لأمه شارل شفايتزر البروتستانتي . في عام ١٩١٦ تزوجت أمه من جديد ، ودخل جان – بول إلى ليسيه لاروشيل وهناك صار زميلا لبول نيزان ، وتهيأ معه لدخول دار المعلمين العليا ، وكان دخوله عام ١٩٢٤ ، وتعرف إلى سيمون دي بوفورا عام ١٩٢٦ ، وجاز امتحان التبريز في الفلسفة عام ١٩٢٩ ،...، وأتم خدمته العسكرية عام ١٩٢٩ وصار بعد ذلك أستاذا للفلسفة في الهافر ، وقرأ الروائيين الأمريكيين ، وروايات بوليسية ، وفي عام ١٩٣٣ ارتحل إلى برلين ودرس هوسرل وهايدغر، ولما عاد إلى الهافر كتب عدة محاولات فلسفية (التخَيُّل ، تَعَالِي الأنا) وقد نشرهما كلتيهما عام ١٩٣٦ ، ومشروع نظرية في الانفعالات (١٩٣٩) الذي أدخل إلى فرنسا الفينومينولوجيا والوجودية ،...، وفي عام ١٩٤٢ صدر له الوجود والعدم ، التأليف المركزي للوجودية الملحدة ومُثِّلت له في عام ١٩٤٢ مسرحية الذباب ، وفي عام ١٩٤٤

الجلسة السرية ، سن الرشد ، وقف التنفيذ ، وفي العام نفسه أسس مجلة الأزمنة الحديثة، وترك التعليم وبدأ يقيم علاقات صعبة مع الحزب الشيوعي، وردا على منتقديه والمشنعين عليه ألقي في عام ١٩٤٦ محاضرة بعنوان الوجودية مذهب إنساني "[١] .

يتبين من ذلك أن سارتر كان من فلاسفة القرن العشرين الميلادي وقد نشأ على الكاثوليكية إحدى المذاهب المسيحية المشهورة ، والتي كانت تعتنقها والدته ، إلا أنه لم يلتزم في شبابه بالوفاء تجاه هذا الدين حيث اختار لنفسه أن يكون ملحدا زاعما أن الإلحاد يعطيه القدر الأكبر من الحرية ، ومن ثم فقد كان سارتر من أنصار الوجودية الملحدة وقد أنتج الكتاب المركزي للوجودية الملحدة وهو "كتاب الوجود والعدم".

يقول سارتر عن نفسه:" لكن الوجودية الملحدة ، والتي أمثلها أنا ، تعلن في وضوح وجلاء تامَّيْن أنه إذا لم يكن الله موجودا فإنه يوجد على الأقل مخلوق واحد قد تواجد قبل أن تتحدد معالمه وتبين ، وهذا المخلوق هو الإنسان ، أو كما يقول "هيدجر" ، الواقع الإنساني ، بمعني أن وجوده كان سابقا على ماهيته"[٢].

والذي يُفهم من سارتر أنه يصرح بإنكار وجود الله تعالي ، كما أنه يري أن الوجود الإنساني قديم ، بل إن في قوله تصريحا ضمنيا بأن الإنسان قد أوجد نفسه .

(١) انظر معجم الفلاسفة / جورج طرابيشي ، – ٣٤٨ – باختصار ، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت لبنان ، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٦ م .

(٢) الوجودية مذهب إنساني / جان بول سارتر ، – ١٣ ، ١٤ – .

نسبية القيم الأخلاقية عند سارتر:

إن آراء الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر" وتصريحاته يؤكدان بما لا يدع مجالا للشك أنه يؤمن بأن الإنسان حر في أفعاله حرية مطلقة ، ومن ثم فهو يجعل الإنسان هو المرجع الأول والأخير لكل ما يصدر عنه من قول أو فعل ، وإن شئت فقل إنه يجعل الإنسان مقياسا لكل شيء على نحو ما ذهب السوفسطائيون .

يقول سارتر مبينا موقف الفلسفة الوجودية من القيم الأخلاقية :

" إن الوجودي يعارض بشدة هذا النوع من الأخلاق العلمانية التي تنكر وجود الله بكل سهولة ،والتي كان يدين بها فلاسفة عاشوا في القرن التاسع عشر(نحو ١٨٨٠) ، وأرادوا أن يؤسسوا بها أخلاقا علمانية مؤداها أن فكرة الله فكرة لا تفيد ، ومن ثم فلا داعي للاستمرار في الإيمان بها ،...، هذا ما حدث مع فلاسفة القرن العشرين الذين قوَّضُوا الإيمان بالله ، أما نحن فإننا قوضناه لكننا قلنا باستمرار وجود تلك القيم بالرغم من اعتقادنا بعدم وجود الله ، وبمعني آخر ، كما يقول الراديكاليون:" إن القيم تظل كما هي دون تغيير بالرغم من أننا قد أقلنا الله – تعالي الله عما يقول الظالمون – وألغينا فكرة وجوده" إن قوانين النزاهة والتقدم والإنسانية تظل كما هي ، أما فكرة وجود الله فهي فكرة قد بليت وماتت من تلقاء نفسها . هذا ما تقول به الراديكالية ، أما الوجودية فتقول بعكس ذلك . إن الوجودية تقول إن عدم وجود الله معناه عدم وجود القيم المعقولة كذلك ، وعدم وجود الخير بصورة مسبقة قبلية a priori, ، لأن عدم وجود الله معناه عدم وجود وجدان كامل لا متناه يعقل ذلك الخير . وهكذا يصبح القول بوجود الخير ، أو بوجود الصدق والنزاهة ، قولا لا معني له ، لأننا نصير حيال وجود إنساني بحت لا دخل فيه لوجود الله أو لقيم مصدرها الله"[١] .

(١) انظر الوجودية مذهب إنساني / جان بول سارتر ، – ٢٣ – ٢٥ – باختصار .

والذي يخلص إليه الباحث من النص السابق هو أن سارتر وإن كان يعترض على العلمانيين والراديكاليين الذين أنكروا وجود الله تعالي ، إلا أنه لم يأت بأفضل مما جاءوا به في هذا الشأن ، حيث إنهم مع إلحادهم قد ذهبوا إلى بقاء القيم وعدم تغييرها وإن أقاموها على أساس غير صحيح ، بينما ذهب الوجوديون إلى أنه مع عدم وجود الله فإنه من غير المعقول الإيمان بوجود القيم أو وجود الخير بصورة قبلية ، وذلك لأن الوجود إنساني بحت كما تري الوجودية ، ومن ثم فإن الاعتقاد بوجود الخير أو الصدق أو القول بوجود قيم أخلاقية يرجع مصدرها إلى غير الإنسان فهو عبث لا وجود له ، فالإنسان إذا هو مصدر الأخلاق في الفكر الوجودي ، الأمر الذي يؤكد أن الوجودية من الفلسفات التي تبنت القول بنسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر .

ويقول سارتر مبينا أن الإنسان هو مصدر أخلاقه :" فالإنسان يصنع نفسه ، إنه ليس ما هو بَدْءا؛ إنه يصنع نفسه باختياره لأخلاقه ، وضغط الظروف هي من القوة بحيث لا يمكن ألا يختار واحدة من بينها إننا لا نعرّف الإنسان إلا بالنسبة إلى التزام ما ، ومن العبث إذن أن يعاتب بعضنا بعضا بالحديث عن مجانية الاختيار"(١)

في هذا النص يبين سارتر أن الإنسان هو مصدر قِيَمَه ومنبع أخلاقه، وهذا يعني أنه لا يعترف بوجود قِيَم قبلية ، أو مطلقة ، فالإنسان حر في اختيار ما يشاء من القِيَم الأخلاقية حيث لا ضابط له في هذا الاختيار ، ولا مرجع له غير حريته ، ومن ثم فالكل مصيب عند سارتر من

(١) الوجودية منزع إنساني/ جان بول سارتر – ٧١ – تعريب : محمد نجيب عبد المولي / زهير المدنيني ، الناشر: دار محمد على للنشر – تونس / التنوير للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان – بيروت . الطبعة: الأولي ٢٠١٢ .

يختار الخير مصيب ومن يختار الشر مصيب ، وتبعا لهذا فلا يصح لأحد أن يعاتب غيره على اختياره .

وتقول كاثرين موريس موضحة موقف سارتر من الأخلاق :" رؤية سارتر للأخلاق – شأن رؤيته للحرية – اعتُدَّ بها على أنها متطرفة . وتصريحاته في الموضوع – المعروفة بأكثر من غيرها – يبدو أنها تؤكد هذا الرأي . هو يردد" حالة تلميذ لي جاءني ... كان حينها مواجها باختيار بين الذهاب إلى إنجلترا للانضمام إلى قوات فرنسا الحرة" ، أو البقاء بجانب أمه لمعاونتها على الحياة ... لم يكن لديّ سوي رد واحد أجيبه به:" أنت حر، وإذن فلتختر"؛ بمعني ابتكر ، لا شك أن الانطباع الأول – وأي انطباع – لفكرة ابتكار كل فرد قِيَمَه ، هي أنها شكل متطرف من الذاتية؛ قد يبدو أنها لا تعني أنه ما من هدف فحسب بل وكذلك ما من قيمة متبادلة أو مبنية على المجتمع :أيُّ قيمة يبتكرها الفرد تتساوي بغيرها ، فإذا اختار المرؤ الرحمة بالأغراب واختار غيره أن يُضفي قيمة على تعذيبهم ، فما من أسس يستطيع الأول نقد الثاني بناء عليها ، والعكس بالعكس "(١)

يتبين مما ذكرته "كاثرين موريس" أن الأساس الذي تنبني عليه القيم عند سارتر هو الحرية ، وقد استنتجت ذلك من رواية سارتر عن تلميذه الذي كان مخيرا بين أن ينضم إلى الجيش الفرنسي للدفاع عن وطنه ، وبين أن يبقي مع والدته ليرعي شئونها ، حيث قال له سارتر أنت حر ، أي لا مؤاخذة عليك فيما تختار ، سواء كان اختيارك صوابا أم خطأ ، فاعتبار الحرية أصلا ومنبعا للقيم الأخلاقية لدي الإنسان يدل على أنه

(١) انظر جان بول سارتر/ تأليف كاثرين موريس ، – ٢٥٧ – باختصار ، ترجمة: أحمد على بدوي ، الناشر: دار آفاق للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولي – المركز القومي للترجمة – ٢٠١١ .

ليست هناك قِيَم مطلقة ، أو ثابته تكون فيصلا بين ما هو صحيح وما هو غير صحيح من الأفعال ، ومن ثم فلا فرق عند سارتر بين إكرام الغرباء أو تعذيبهم فكلا الفعلين صحيح ما دامت الحرية هي المعيار .

ويقول سارتر مقرا بإلحاده وموضحا أنه مع عدم وجود الله تعالي فلا وجود للقيم القبلية التي مصدرها السماء:

"إذا كان الله غير موجود فإن وجود القيم والشرائع التي تبرر تصرفاتنا تسقط بالتبعية وتصير غير موجودة ، ويجد الإنسان وحده وحيدا لا عذر له ولا ما يبرر سلوكه . وهذا ما أعبر عنه بقولي إن الإنسان محكوم عليه بالحرية ،...، وأنه لا يمكن أن ينسب ما يصدر عنه إلى غيبيات توحي إليه ، وإنما هو الذي يفسر ويؤول هذه الغيبيات كما يحلو له ويروقه ، وهو يؤمن أن كل فرد محكوم عليه ، دون أية مساعدة تلقي إليه أو معونة تقدم له ، محكوم عليه أن يبدع الإنسان الذي هو نفسه ،...، أضرب لكم هذا المثل لتلميذ من تلاميذي جاءني يقص على قصته ،...، وكان على هذا الشاب أن يختار بين أحد موقفين : فإما أن يلتحق بالقوات الفرنسية الحرة في إنجلترا ، وإما أن يبقي إلى جوار أمه يعينها على الحياة،...، وكان الشاب في ذلك الوقت يتردد بين نوعين من السلوك الأخلاقي : التعاطف مع أمه والتضحية من أجلها ، أو التعاطف مع بني قومه بنتيجة أقل تأكدا من النتيجة الأولي ، وكان على الشاب أن يختار بين الاثنين ، فَمَن مِن الممكن أن يساعده في اختياره ؟ العقيدة المسيحية ؟ ،...، وهل هناك من قطع في مشاكل كهذه من قبل ؟ لا أحد ولم يحدث أن تناولت مواقف كهذه أية أخلاقيات مكتوبة ،...، وإذن فالقيم الأخلاقية غامضة غير محددة ، وهي تتسع إلى مالا نهاية ، يتضائل إلى جوارها المثل الذي ضربناه ، وإزاء غموضها ذاك لا يسعنا إلا أن نرفضها ، ولا يتبقي لنا إلا الغرائز نلجأ إليها ونستلهمها الحل الصحيح ، وهذا ما فعله

هذا الشاب :أهمل كل القيم وترك عاطفته هي التي تهديه السبيل: إذا كنت أحب أمي حتي لأضحي في سبيلها برغبتي في الانتقام لأخي ومشاركة قومي لبقيت إلى جوارها؛ وإذا لم أكن أحب أمي الحب الكافي تركتها وارتحلت"(١)

نستخلص مما سبق أن سارتر ينكر وجود قيم ثابتة تفرض على المجتمع ككل وتكون معيارا للسلوك الإنساني ومميزا للخطأ والصواب من الأفعال ، ويصرح بأن الإنسان يبتكر قيمه الأخلاقية ابتكارا معتمدا في ذلك على غرائزه فحسب رافضا أن يكون لهذه القيم مرجعا آخر يتجاوز حدود هذا العالم الطبيعي .

ويقول سارتر في "الوجودية منزع إنساني" :" ولكن إذا كنت قد حذفت الله الأب فلا بد بالضرورة من كائن لابتكار القيم ، يجب أن نتعامل مع الأشياء كما هي .ومن ناحية أخري فالقول بأننا نحن الذين نبتكر القيم لا يعني شيئا آخر سوي هذا [الأمر]: ليس للحياة معني ما قبلي . فقبل أن تحيوا الحياة ، لم تكن [هذه] الحياة شيئا ، لكن عليكم أنتم أن تضفوا عليها معني وليست القيمة شيئا آخر سوي هذا المعني الذي تختارونة"(٢) .

يخلص الباحث من خلال ما تقدم في هذا المبحث أن سارتر لا يؤمن بوجود قيم ثابته تقيم السلوك وتوجهه ، وما يراه سارتر في هذا الصدد هو ما يؤمن به الوجوديون كافة ، فمن أهم مبادئ الوجودية هو الحرية المطلقة لكل فرد ، وبمقتضي هذه الحرية فإن الإنسان يختار القيم التي يستحسنها ، أو يراها موافقة لهوي نفسه ، بل إن سارتر قد بالغ في هذا المبدأ فصرح بأنه على الإنسان أن يبتكر قيمه بنفسه لأنه مصدرها الوحيد حيث لا إله كما يزعم .

(١) انظر الوجودية مذهب إنساني / جان بول سارتر ، – ٢٥ – ٣٠ – باختصار .
(٢) الوجودية منزع إنساني/ جان بول سارتر ، – ٧٩ – .

الفصل الثالث : الآثار المترتبة على القول بنسبية القيم الأخلاقية:

إن الزعم بنسبية القيم الأخلاقية هو أحد المذاهب الفلسفية القديمة حيث ترجع نشأته إلى الفلسفة اليونانية ، على يد السوفسطائيين ، وهو زعم ناتج في الأصل عن القول بنسبية الحقيقة ، فالقول بهذه النسبية فضلا عن أنه يتعارض مع الدين والعقل ، فإنه يترتب عليه آثار خطيرة ، وتداعيات هدامة تؤدي في النهاية إلى شيوع الفوضي وهدم المجتمع ، ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الأسباب التي أدت إلى القول بنسبية القيم الأخلاقية .

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على القول بنسبية القيم الأخلاقية .

المبحث الثالث: الدليل العقلي على بطلان القول بنسبية القيم الأخلاقية.

المبحث الأول: الأسباب التي أدت إلى القول بنسبية القيم الأخلاقية

لم يكن القول بنسبية القيم الأخلاقية قد نشأ فجأة أو ظهر على الساحة الفكرية صدفة ، وإنما تقدمته عوامل وأسباب أدت إلى ظهوره كمذهب من المذاهب الفلسفية في الفكر الغربي المعاصر ، وأهم هذه الأسباب ما يلي:

أولا: إلغاء الفرق بين الغاية والوسيلة :

إن الله تعالي جعل الحياة الدنيا وسيلة وطريقا للعبور إلى الحياة الآخرة التي هي الغاية التي يسعي إليها الإنسان ، ومن ثم فإن إلغاء التفرقة بين الغاية والوسيلة يجعل الإنسان لا يري إلا الحياة الدنيا ولا يعمل إلا لها .

يقول الدكتور طه عبد الرحمن:" والعجب كل العجب أن المحدَثين وهم يفصلون بين العالَمين – عالم الغيب وعالم الشهادة – ناسين العالم الغيبي ، لم ينسوا كمالاته ، فاندفعوا في نقلها إلى العالم المرئي ، اقتباسا أو اختلاسا ؛ وأحد هذه الكمالات التي اقتبسوها وادّعوا استحقاق الوجود المرئي لها هو "الجلالة" ؛ لكن ما لبثوا أن جعلوا لها تسترا على أصلها الغيبي ، كنية غلبت في الاستعمال هي: "السيادة" ؛ وقد بلغوا من قوة التعلق بها أن نسبوها إلى المؤسسات والشعوب والأفراد ؛ وجعلوا طلبها علامة على تحمّل الإنسان أمر تدبير شؤونه بنفسه ، مع إيهامه بأنه قادر على أن يبسط سلطانه على العالم المرئي بسط الإله لسلطانه علي العالم الغيبي ، قِسمة بينهما ؛ ولما جاوز هذا التعلق حده ، واضعا السيادة في غير موضعها ، كان لابد أن تنقلب هذه السيادة إلي عبادة في غير موضعها جاعلة الإنسان يتسلط ويتأله متعبدا نفسه"[١]

(١) انظر روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية / دكتور طه عبد الرحمن ، – ٢٥ – ، الناشر: المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب ، الطبعة: الثانية ٢٠١٢ م .

ويقول الدكتور محمد نجدي:" الفصل بين العلم والحكمة ، أي بين الوسائل والغايات ، يعني: جعل هذه الحياة الدنيا غاية في ذاتها ، فليس وراءها حياة أخري ، فلا عالم إلا المحسوس الذي نراه ، وقد أدّي تضييق هذا الوجود الإنساني وقصره على الجانب المادي منه أن سلبوا العالم الغيبي صفاته وخلعوها على العالم المادي المحسوس ، وادّعوا استحقاق الوجود المرئي لها ، إمعانا في إثبات كمالات هذا الوجود ، فخلعوا عليه الجلالة تحت مصطلح السيادة ، تسترا على أصلها الغيبي ، لتؤدي في نهاية الأمر إلى تسلط الإنسان وتأليهة ، متعبدا نفسه فضلا عن تعبده لغيره ، متناسين بل متجاهلين حقيقة أن الإنسان محاط بالغيب إحاطة الشهادة به ، أو أشد"(١)

مما سبق يخلص الباحث إلى أن إنكار العالم الغيبي والإيمان فقط بكل ما هو محسوس جعل الإنسان يعيش الحياة الدنيا على أنها الغاية المنشودة والملاذ الأخير ، لذلك أطلق لنفسه العنان ومنحها الحرية المطلقة فيما تقول وتفعل ، مما ترتب عليه في النهاية أن جعل نفسه معيارا ومرجعا لكل شيء ، للأخلاق ، والمعرفة ، والحقيقة ، فاعتبر الأخلاق والمعرفة وغيرهما من الأمور النسبية ، التي يرجع الحكم عليها صحة أو خطأ إلى كل فرد على حده .

ثانيا: العلوم الاجتماعية:

من الأسباب التي نتج عنها القول بنسبية القيم الأخلاقية تطور العلوم الاجتماعية .

يقول هنترميد :" كان من المحتم بمجرد أن وصلت العلوم الاجتماعية

(١) انظر القيم بين النسبية والثبات / دكتور/ محمد نجدي حامد عبد الحميد ، – ٣٥ ، ٣٦ – المجلد الثالث من العدد السادس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ،

إلى مكانتها العقلية الراهنة ، أن يكون لها تأثير في التفكير الأخلاقي . فعلى عكس الفكرة السائدة بين الناس والقائلة إن الفلاسفة(وضمنهم فلاسفة الأخلاق) ، يسكنون أبراجا عاجية لا تربطها بالعالم الخارجي للحياة اليومية البشرية أدنى صلة ، نجد التفلسف النظري في الأخلاق كان دائما وثيق الارتباط بالتفكير النظري والممارسة العملية المتعلقَيْن بالميدان الاجتماعي المحيط به. بل لقد كان هذا التفلسف عادة مرتبطا ارتباطا وثيقا بالإطار الاجتماعي المباشر الذي يوجد فيه ، ولو كان في التفكير النظري الأخلاقي ضعف عام واحد ، فما ذلك إلا اتجاهه إلى أن يكون مجرد تبرير غير ظاهر أو "بطانة" عقلية صُنعت بحيث يمكن أن تُبني عليها العادات الأخلاقية الرسمية أو المعترف بها في مجتمع معين وعصر معين . وبالاختصار فقد كانت الأخلاق على وجه العموم محلية أو إقليمية . ولم تكن معظم المذاهب الأخلاقية "شاملة" أو "أزلية" أو "مطلقة" أو "مثالية" كما تزعم عادة ، وإنما كانت نسبية تبعا للحضارة والعصر التاريخي اللذين ظهرت فيهما . وفضلا عن ذلك كان الكثير منها ينتسب بوضوح إلى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفيلسوف"[١]

ويقول الدكتور فؤاد زكريا :" من بين دعاة " النسبية " في العصر الحديث ، فلاسفة وضعيون اعتبروا "الظواهر" مجرد "وقائع اجتماعية" تقبل الوصف والتحليل ، والتصنيف ؛ وذهبوا إلى أن لكل شعب من الشعوب أخلاقه الخاصة التي عملت على تحديدها ظروف اجتماعية متعددة والواقع أن العادات ، والتقاليد ، والأعراف ، والآداب العامة ، ومعايير الخير والشر ، وأخلاق الطبقات المختلفة ، تمثل "ظواهر وضعية" تقبل الملاحظة ،

(١) انظر الفلسفة أنواعها ومشكلاتها / هنتر ميد ، – ٣٧٠ ، ٣٧١ – ترجمة: د/ فؤاد زكريا ، الناشر: مؤسسة هنداوي ٢٠٢٢ م .

وتخضع للقياس ، وبالتالي فإن من الممكن دراستها عن طريق استخدام بعض المناهج العلمية الدقيقة . ولعل هذا ما ذهب إليه – مثلا – أنصار المدرسة الاجتماعية الفرنسية حينما نظروا إلى "الظاهرة الخُلُقية" على أنها "واقعية" حتمية ضرورية ، يمكن التعرف على أسبابها بالرجوع إلى الظروف الاجتماعية التي أحاطت بهذا المجتمع أو ذاك ، في هذه الحقبة التاريخية أو تلك ، فالظاهرة الخُلُقية – في نظر علم الاجتماع الخُلقي – "واقعية موضوعية"(١).

ويقول هنتر ميد موضحا مدي التأثير الذي خَلَّفته العلوم الاجتماعية على القيم الأخلاقية:

" ولقد أخذت تتزايد على الدوام ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر صعوبة مسايرة الأخلاق التقليدية – التي كانت تلتزم عادة بالبحث عن مذهب واحد ، ثابت على مر الزمان للقيم – للنتائج النسبية الواضحة التي ترتبت على الكشوف الأنثروبولوجية، فكلما ازدادت الوقائع الأنثروبولوجية تراكما ، أصبحت مهمة تفسير ذلك التنوع الهائل للمعايير الأخلاقية على أساس مفهوم واحد للخير أصعب إلى حد يبعث على اليأس. حتي ظهر بوضوح في أوائل هذا القرن أن من الضروري النظر إلى المشكلة بأسرها من زاوية جديدة . وكان السؤال الذي يتعين البحث عن إجابة له هو في أساسه: هل يمكن أن تُبني الأخلاق ، أو أية نظرية في القيمة على العلم – ولا سيما العلم الطبيعي . أم أن عالم القيم مجال لا يستطيع المنهج العلمي أن يغزوه أو أن يسهم فيه بأي نصيب مفيد؟ ،...، وهكذا فإننا عندما ندرس الأخلاق المعاصرة والعلوم الاجتماعية

(١) انظر مشكلات فلسفية (٦) المشكلة الخُلقية / دكتور زكريا إبراهيم ، – ٧٨ – الناشر: مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي (الفَجَّالة) بدون .

في مجموعها ، نجد أن هناك ثلاثة مواقف رئيسية ممكنة إزاء هذه العلوم ومعرفتها المتراكمة . ففي الطرفين القصيَّين نجد المذهب الحدسي ومذهب الشك ، كليهما ينكر أننا نستطيع استخلاص القيمة والإلزام من الواقع الاجتماعي أو الأنثربولوجي ،...، أما صاحب المذهب الطبيعي فهو إذ يرفض ما يري أنه نزعة يأس في أحد الموقفين ، واتجاه انهزامي في الموقف الأخير، يواصل مهمته العسيرة التي كثيرا ما تكون مثبطة للهمم – مهمة استخلاص القيم من عالم الطبيعة المادية والطبيعة البشرية ، واثقا أنه سيتمكن بمضي الوقت من بناء مذاهب في القيمة على أساس من العلم مشابهة لمذهب المعرفة التي نستطيع الآن بناءها على هذه الأسس"(١)

نستخلص مما سبق أن العلوم والظواهر الاجتماعية كانت من الأسباب القوية التي أدت إلى القول بنسبية القيم الأخلاقية ، فكل شعب من الشعوب قد اختص بأخلاق معينة حددتها ظروف اجتماعية خاصة ، الأمر الذي جعل لكل شعب قيما وأخلاقا تختلف عن الشعب الآخر ، فما كان مباحا في مجتمع ما ، كان محظورا في مجتمع آخر ، وهكذا حتي صارت الظواهر الاجتماعية هي الأصل الذي يرجع إليه المجتمع لاختيار قيمه وأخلاقه ، متناسيا أو رافضا الأصل السماوي الذي ترجع إليه القيم في الحقيقة .

ثالثا: الحداثة:

تُعد الحداثة من أهم الأسباب التي أدت إلى القول بنسبية القيم الأخلاقية ، وذلك لأن الحداثة لا تؤمن بالحقائق الثابتة ، أو القيم المطلقة .

يقول الدكتور محمد نجدي حامد :" دعوي الحداثة أنه لا يمكن تقدم العالم ولا تستطيع حضارة أن تؤتي ثمارها في ظل وجود قيم بادئة أتت من

(١) انظر الفلسفة أنواعها ومشكلاتها / هنر مید ، – ٣٧٢ ، ٣٨٢ – باختصار .

الماضي السحيق ، حيث إن القيم التاريخية – ومن بينها القيم الأخلاقية والدينية – يجب أن تُمحي وتزول بالكلية ، لأنها قيم متخلفة ،..، وبدون محو تلك القيم فلن يتأتي للقيم الحداثية وجود"[1] .

والذي يظهر من ذلك أن الحداثة كان لها أثر خطير على منظومة القيم بشكل عام وليس على الأخلاق خاصة ، فالحداثة التي نشأت وترعرت على نبذ الثوابت ورفض التراث ، لا يُعقل أن تعترف أو تقبل بقيم ثابتة ، أو حقائق مطلقة .

رابعا: نظرية التطور:

كان للنظريات الجديدة التي ظهرت باسم العلم وخاصة نظرية التطور لدارون أثر سلبي على القيم ، حيث أدى ظهور هذه النظريات إلى القول بالنسبية وإنكار الحقائق الثابتة .

يقول الدكتور مانع بن محمد :" لقد كان الفكر الأوربي يعيش في ظل فكرة الثبات المطلق ، وقد فوجئ بفكرة التطور التي ظهرت بظهور مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهبا جديدا ، وكان يُدَرَّس في مدارسهم وقد ذهبوا إلى أبعد مدي وذلك بتطبيقه على الجمادات والمعادن ، لقد ظهرت نظريات يدّعي اصحابها أنها علمية ومنها نظرية دارون ،...، ونظرية دارون قد أعطت إيحاءين متضامنين: الإيحاء بالتطور الدائم الذي يلغي فكرة الثبات ، والإيحاء بحيوانية الإنسان وماديته وبإرجاعه إلى الأصل الحيواني من ناحية ، وحصر القوي التي تؤثر فيه من ناحية أخري بالقوة المادية المتمثلة في البيئة أو الطبيعة وإغفال الجانب الروحي إغفالا تاما ، وإغفال قدرة الله وتدبيره – سبحانه وتعالي عما يقولون – في

(١) القيم بين النسبية والثبات /دكتور محمد نجدي حامد ، – ٣٨٥ – باختصار ، المجلد الثالث من العدد السادس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .

عملية الخلق أو عملية التطور سواء "[١] .

والذي يؤخذ من هذا النص أن نظرية التطور التي زعم أصحابها أن الإنسان تطور عن حيوان من ناحية ، والتي حصرت القوي المؤثرة في الإنسان في الطبيعة أو البيئة من ناحية ثانية ، والتي أغفلت الجانب الروحي للإنسان كما أغفلت التدبير الإلهي للكون من ناحية ثالثة ، فلا يُعقل أن تعترف هذه النظرية بحقائق ثابتة أو قيم مطلقة ، فإذا كان الإنسان نفسه يتطور كما يري دارون ، فمن باب أولي أن يتم التطور فيما يختص به الإنسان من عادات وقيم ، ومن ثم فقد كانت نظرية التطور من الأسباب التي لزم عنها القول بنسبية القيم الأخلاقية .

المبحث الثاني: النتائج المترتبة على القول بنسبية القيم الأخلاقية:

لقد ترتب على القول بنسبية القيم الأخلاقية كثير من النتائج والآثار التي طالما أدت إلى شيوع الفوضي والتطرف بين أفراد المجتمع الواحد ، كما أدت إلى الاختلاف والتباعد الفكري والثقافي بين المجتمعات ، وأهم هذه النتائج ما يلي:

١ – عدم وجود معيار يمكن الوثوق به في تقويم السلوك الإنساني:

يقول هنتر ميد مبينا بعض النتائج المترتبة على القول بنسبية القيم : " ومن سوء الحظ أن للموقف النسبي نتائج معينة تحول بين معظم المفكرين وبين قبوله حتي بعد أن يكونوا غير راضين عن النزعة المطلقة ،...، فهو أولا يعني (في رأي المذهب المطلق) أنه لا يمكن أن يكون هناك معيار للحكم على قانون أخلاقي معين بأنه أفضل أو أسوأ من الآخر ، أو أعلي

(١) انظر القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة / دكتور مانع بن محمد بن على المانع عضو الدعوة والإرشاد بالرياض ، – ٢٥٧ ، ٢٥٨ – باختصار ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع – الرياض السعودية ، الطبعة: الأولي ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

منه أو أدني . فلن تكون هناك عندئذ أسس سليمة لتقويم السلوك ، فيما عدا اتفاقه مع العرف المحلي أو القومي ، ولنتأمل النتائج الكاملة لهذا الموقف: فإذا كان كل "خير" أو "صواب" نسبيا تبعا للزمان والمكان والظروف . وإذا كان سلوك الرجل الشرقي " "صوابا" ما دام يتفق مع المعايير الشرقية ، وسلوك الرجل الغربي صوابا إذا كان يرضي أمزجة الغربيين ، فعندئذ يمكن القول أن الالتجاء إلى التعذيب في عدالة العصور الوسطي كان صوابا ، وأن المحاولات التي بُذلت لإبطال عادة الهنود في دفن الأرامل بعد موت أزواجهن كان محاولات خاطئة "[1]

والشاهد من هذا أن القول بنسبية القيم الأخلاقية ينتج عنه عدم وجود معيار ثابت للحكم على أن أحد القوانين الأخلاقية أفضل من الآخرأو أحق منه مما يترتب عليه استحالة وجود الأسس الصحيحة التي يمكن تقويم السلوك الإنساني على أساسها ، باستثناء العرف المحلي ، وهذا الأمر يؤدي إلى التباعد الفكر والثقافي بين الشعوب والمجتمعات المختلفة ، فما يكون صوابا في المجتمع الغربي كشرب الخمر أو التعامل بالربا لا يكون حلالا في المجتمع الشرقي، وهكذا تتسع الفجوة بين الشعوب وينعدم الانسجام والتفاهم .

٢ – اعتبار المنفعة المادية هي الغاية الوحيدة من الأخلاق:

لقد أدي القول بنسبية القيم الأخلاقية إلى أن ينظر كل فرد إلى الفضائل الأخلاقية باعتبارها وسيلة أو أداة لتحقيق السعادة أو اللذة .

يقول الدكتور فؤاد زكريا:" إذا كانت العصور القديمة قد شهدت العديد من "مذاهب السعادة" ذات النزعة الفردية ، فإن ظهور الكثير من المشكلات

(١) انظر الفلسفة أنواعها ومشكلاتها / هنترميد ، – ٢٧٢ ، ٢٧٣ – باختصار ، ترجمة: الدكتور فؤاد زكريا ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الثانية نوفمبر ١٩٧٥ م .

الحديثة المتعلقة بالجماعة ، والدولة والقانون ، قد عمل على قيام مذهب جديد في السعادة اتسم بالنزعة الاجتماعية ، ولكن على حين أن أصحاب مذهب السعادة – في العصور القديمة – قد أقاموا نظرتهم إلي" الخير" على أساس فلسفي عقلي نجد أن أنصار مذهب المنفعة العامة – في العصور الحديثة – يريدون أن يقيموا نظرتهم إلى "لخير" على أساس عملي تجريبي ، وحجة هؤلاء أنه ليس من سبيل إلى إثبات أن هذا الشيء أو ذاك مرغوب فيه اللهم إلا بإظهارنا على أن الناس يرغبون فيه بالفعل . وحسبنا أن نرجع إلى التجربة لكي نتحقق من أن الشيء الواحد الذي يرغبه الناس جميعا هو "السعادة" وأن كل ما عداه من أشياء إنما هو موضع "رغبة" ، بوصفه "واسطة" أو "وسائط" لبلوغ تلك الغاية . وليست "المنفعة" في نظر أصحاب هذا المذهب سوي المبدأ الأخلاقي الذي يقضي بتحقيق أكبر سعادة ممكنة . فالخير إنما يساوي في رأيهم ما هو نافع لنا ، وما هو "نافع" لنا إنما هو هذا الذي يكون في الوقت نفسه نافعا لغيرنا ، ولما كان مذهب المنفعة مذهبا تجريبيا : فإن "الخير" الذي يتحدث عنه "شيء" محسوس ملموس ، أو هو على الأقل ظاهرة تقبل الوزن والقياس . ولهذا يحيل بنتام "الخير" إلى ورقة مالية أو قطعة نقدية ، ويحاول إقامة "الأخلاق" بأسرها على ما يسميه حساب اللذات"[١] .

مما سبق يخلص الباحث إلى أن القول بالنسبية فيما يتعلق بالقيم أدي إلى أن يكون الفعل الأخلاقي وسيلة لتحقيق غاية أخري هي السعادة المتمثلة في اللذة ، وبذلك أصبح مقياس صحة الفعل هو مقدار ما يترتب عليه من لذة ، فالفعل الذي ينتج عنه لذة لصاحبه يكون خيرا ، والفعل الذي

(١) انظر مشكلات فلسفية – المشكلة الخلقية/ الدكتور فؤاد زكريا ، – ١٤٨ ، ١٤٩ – باختصار .

ينتج ألما يكون شرا ، وهذا ما قصد إليه بنتام من سعيه لجعل اللذات مقياسا لما هو خير وما هو شر من الأفعال ، ولا يخفي ما في ذلك من جعل الإنسان كالحيوان عبدا للذاته ، وأسيرا لشهواته .

٣- سيادة قانون الغاب والبقاء للأقوى:

من أخطر النتائج التي ترتبت على القول بنسبية القيم الأخلاقية هو الرجوع إلى قانون الغاب وإقرار مبدأ السيادة للأقوياء .

يقول فرانسيس فوكوياما :" لا يقيم الفكر الحديث حواجز في وجه قيام حرب عدمية في المستقل ضد الديمقراطية الليبرالية من قِبَل أولئك الذين شبّوا في ظلها . فالنسبية (تلك النظرية التي تذهب إلى أن كافة القيم ليست إلا نسبية ، والتي تهاجم كل "وجهات النظر صاحبة الامتياز على غيرها") لابد وأن تنتهي بتحديد قيم ديمقراطية ومتسامحة هي أيضا . وليست النسبية سلاحا يمكن أن يُصَوَّب تجاه هذا العدو أو ذاك وفق اختيارنا ، وإنما هي سلاح يطلق النار دون تمييز ، فلا يصيب فحسب أسس المطلقات والمعتقدات والمسلمات في التقاليد الغربية ، وإنما يصيب أيضا تأكيد هذه التقاليد لمبدأ التسامح والتنوع وحرية الفكر. ذلك أنه إن لم يكن ثمة ما هو صحيح بصورة مطلقة ، وإن كانت كل القيم تتحدد في ضوء الثقافات بصورة مختلفة ، فلابد أن ينطبق هذا أيضا على المبادئ الأثيرة لدى النفس كالمساواة بين البشر،...، إن مشروع الإنسان بعد أن حرَّرَ نفسه من قيود الفلسفات السابقة التي كانت تؤمن باحتمال وجود حقيقة مطلقة ، أصبح يتمثل في "إعادة تقييم كافة القيم" ، بدءا بالقيم المسيحية . وقد سعى عامدا إلى زعزعة الإيمان بالمساواة بين البشر ، ذاهبا إلى أنها مجرد تعصب غرسته المسيحية فينا . وكان نيتشة يأمل في أن يتخلى مبدأ المساواة في يوم ما عن مكانه لأخلاقيات تبرر هيمنة الأقوياء على الضعفاء ، وانتهى بتمجيد ما يمكن أن نعتبره فلسفة القسوة . كان يكره المجتمعات التي تأخذ

بالتنوع والتسامح ، ويفضل عليها تلك التي تأخذ بعدم التسامح والتصرف الغريزي دونما شعور بالندم"[١]

نستخلص مما سبق أنه من النتائج المدمرة التي يستلزمها القول بنسبية القيم هو سيادة قانون الغاب الذي يتأسس على مبدأ البقاء للأقوى ، ويجعل السيطرة والهيمنة في يد أصحاب القوة فحسب ، ولا يخفي ما في هذا المبدأ من تأصيل للعنصرية ، وتأسيس للإرهاب والتطرف ، والقضاء تماما على مبدأ التسامح والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع ، وإقرار مبدأ الكراهية والحقد والرغبة في الانتقام بين أفراد الشعب نظرا لشعور الضعفاء بالقهر والذل وضياع الحقوق المشروعة ، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى فساد المجتمع وانهيار أركانه .

٤ – إنكار الوحي المعصوم واعتبار الإنسان هو المرجع الوحيد للحكم الأخلاقي :

من الآثار السلبية التي نتجت عن القول بنسبية الأخلاق إهمال الوحي الإلهي الذي من خلاله يبعث الله تعالي رسله وأنبياءه بدينه وشريعته لهداية العباد وإرشادهم إلى طريق الحق ، حيث يعمل أصحاب النسبية على إنكار الوحي وإلغاء دوره كمصدر رئيس للقيم الأخلاقية ، بهدف جعل الإنسان هو المصدر الأساسي ، والمقياس الوحيد لأفعال الناس وتمييز الصواب فيها من الخطأ .

(١) انظر كتاب نهاية التاريخ وخاتم البشر / فرانسيس فوكوياما و – ٢٨٨ ، ٢٨٩ – باختصار ، ترجمة: حسين أحمد أمين ، الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر مؤسسة الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة ، الطبعة: الأولي ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

وقد بين النبي –صلي الله عليه وسلم–أن الأخلاق فطرية في الإنسان مما يدل على أنها مطلقة ليست نسبية ، وأن المرجع في الحكم على الفعل الأخلاقي هو الوحي وليس الإنسان الفرد أو المجتمع ككل ، فقد روي مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلي الله عليه وسلم–:

" الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"(١)

وفي توضيح المراد من الحديث يقول الشيخ عبد الرحمن الميداني:" وفي قول الرسول صلي الله عليه وسلم :"الناس معادن" دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية ، وفيه يثبت الرسول صلي الله عليه وسلم أن خيار الناس في التكوين الفطري هم أكرمهم خلقا ، وهذا التكوين الخلقي يرافق الإنسان ويصاحبه في كل أحواله . فإذا نظرنا إلى مجموعة من الناس غير متعلمة ولا مهذبة ، أو في وسط مجتمع جاهلي ، فإنه لابد أن يمتاز في نظرنا من بينهم أحاسنهم أخلاقا ، فهم خيرهم معدنا وأفضلهم سلوكا اجتماعيا ، ثم إذا نقلنا هذه المجموعة كلها فعلّمناها وهذّبناها وأنقذناها من جاهليتها، ثم نظرنا إليها بعد ذلك نظرة عامة لنري من هو أفضلهم ، فلابد أن يمتاز في نظرنا من بينهم من كان قد امتاز سابقا ؛ لأن العلم والتهذيب تمد من كان ذا خلق حسن في أصل فطرته "(٢) .

ويخلص الباحث مما سبق أن الأصل في الأخلاق أنها فطرية ، فالإنسان مفطور على الخير والشر ، ومن ثم فلا عجب أن تري رجلا

(١) صحيح مسلم / المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفي ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – كتاب: البر والصلة والآداب – باب: الأرواح جنود مجندة – ج٤ / ٢٠٣١ – .

(٢) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، – ١ / ١٧٩ – ، الناشر: دار القلم – دمشق ، والدار الشامية – بروت ، الطبعة: الخامسة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

لا حظ له من التعليم والتهذيب أفضل خلقا وأحسن فعلا من رجل نال من التعليم والتهذيب حظا وفيرا ، وإذا كانت الأخلاق فطرية فلابد أن يكون المرجع والحكم على أفعال الناس هو الوحي الإلهي ، ليس الفرد أو المجتمع ، فالدين وحده هو المقياس لأفعال العباد ، وهو المميز للصحيح فيها من الخطأ .

المبحث الثالث: الدليل العقلي على بطلان القول بنسبية القيم الأخلاقية :

وقد رد ابن حزم على من قالوا بنسبية القيم مبينا أن كون الشيء حقا أم باطلا إنما يكون بالنظر إلى حقيقة الشيء في ذاته ، وليس بانطباع الأفراد عنه ، فقال: " ذكر من سلف من المتكلمين أنهم – أي المبطلون للحقائق والقيم وهم السوفسطائيون ومن تابعهم) ، ثلاثة أصناف ،فصنف منهم نفي الحقائق جملة . وصنف شكو فيها . وصنف منهم قالوا هي حق عند من هي حق عنده. وهي باطل عند من هي عنده باطل : وعمدة ما ذُكر من اعتراضهم فهو اختلاف في الحواس كإدراك المبصر مَن بعُدَ عنه صغيرا ومن قرب منه كبيرا، وكوجود من به حمي صفراء حلو المطاعم مُرًّا ،...، (قال أبو محمد) وكل هذا لا معنى له . لأن الخطاب وتعاطي المعرفة إنما يكون مع أهل المعرفة . وحس العقل شاهد بالفرق بين ما يخيل إلى النائم وبين ما يدركه المستيقظ . .. وكذلك يشهد الحس أيضا بأن تبدل المحسوس عن صفته اللازمة له تحت الحس إنما هو لآفة في حس الحاس له لا في المحسوس جار كل ذلك على رتبة واحدة لا تتحول . وهذه هي البداية والمشاهدات التي لا يجوز أن يُطلب عليها برهان . إذ لو طُلب على كل برهان لاقتضي ذلك وجود موجودات لا نهاية لها . ووجود أشياء لا نهاية لها محال ،...، والقول بنفي الحقائق مكابرة للعقل والحس . ويكفي من الرد عليهم أن يُقال لهم : قولكم أنه لا حقيقة للأشياء حق هو أم باطل ؟ فإن قالوا هو حق أثبتوا حقيقة ما وإن قالوا ليس هو حقا أقروا

ببطلان قولهم وكفوا خصمهم أمرهم"[١] .

والذي نخلص به من هذا النص أن كون الشيء حقا أم باطلا إنما يكون بالنظر إلى حقيقة الشيء ليس إلى انطباع الناس عنه ، وأن تبدل المحسوس عن صفاته اللازمة يرجع إلى آفة في الحس ليس في المحسوس ، كما يحدث مع المحموم الذي يجد الحلو مرّا ، كذلك فإنه يجب التعامل مع القيم الأخلاقية فكون هذه القيم ثابتة أو نسبية إنما يكون بالنظر إلى حقيقتها ليس إلى انطباع الأفراد عنها ، فالأصل أن القيم ثابتة ليست نسبية ، والزعم بأنها نسبية إنما يرجع إلى آفة في العقل أو فساد في الفطرة ، أو غرض خبيث كهدم الدين ونشر الإلحاد .

ويقول ابن حزم أيضا في معرض تدليله على بطلان النسبية بطريق العقل :" ويُقال – وبالله التوفيق – لمن قال هي حق عند من هي حق عنده وهي باطل عند من هي عنده باطل ، إن الشيء لا يكون حقا باعتقاد من اعتقد أنه حق ، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل ، وإنما يكون الشيء حقا بكونه موجودا ثابتا سواء اعتُقد أنه حق أو اعتقد أنه باطل ، ولو كان غير هذا لكان الشيء معدوما موجودا في حال واحدة في ذاته ، وهذا عين المحال"[٢] .

والشاهد من قول ابن حزم وإن كان خاصا بالأمور المحسوسة أن اعتبار الشيء حقا أم باطلا يرجع إلى كون الشيء موجودا أو غير موجود ، ولا عبرة باعتقاد الأفراد ، وإذا كان الكلام هنا خاصا بالأمور المحسوسة ، فليس هناك ما يمنع من تطبيق هذا المبدأ على القيم عموما والقيم الأخلاقية

(١) انظر الفِصل في الملل والأهواء والنحل/ للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ – ١ / ١٤ – باختصار ، الناشر: مكتبة السلام العالمية – ٣٢ ش الفلكي .

(٢) المرجع السابق – ١٤ ، ١٥ –

خصوصا ، فاعتبار القيم مطلقة أو نسبية إنما يكون بالنظر إلى نتائجها وآثارها على الفرد والمجتمع ، وقد تبين فيما سبق أن النتائج المترتبة على القول بنسبية الأخلاق نتائج خطيرة قد تؤدي إلى فساد المجتمع وانهيار أركانه ، فاعتبار الفرد هو المقياس الوحيد لصحة الأفعال وخطئها يؤدي إلى التطرف والعنصرية وغياب العدل والحكمة ، وذلك لأن العقول متفاوتة والأفهام مختلفة فما يراها شخص ما صحيحا يراه الآخر غير صحيح وهكذا الأمر الذي يتسبب في نشر العداء وشيوع الجريمة .

بينما إذا نظرنا إلى النتائج المترتبة على القول بثبات القيم الأخلاقية فنجد أنها تحس على العدل والمساواة ، ومحاسبة المخطئ ، ونبذ التطرف ، ومحاربة الفساد مما يؤدي إلى رقي المجتمع والعمل على النهوض به والعبور به إلى طريق الفلاح .

ويقول التفتازاني في شرح العقائد النفسية مؤكدا ما ذهب إليه ابن حزم :" (حقائق الأشياء ثابتة) حقيقة الشيء وماهيته هوهو ، كالحيوان الناطق للإنسان ... (والعلم بها) أي بالحقائق من تصوراتها والتصديق بها وبأحوالها متحقق ، وقيل : المراد العلم بثبوتها للقطع بأنه لا علم بجميع الحقائق، والجواب: أن المراد الجنس ، ردا على القائلين بأنه لا ثبوت لشيء من الحقائق ، ولا علم بثبوت حقيقة ولا بعدم ثبوتها (خلافا للسوفسطائيين) فإن منهم من ينكر حقائق الأشياء ، ويزعم أنها أوهام وخيالات باطلة وهم العنادية ، ومنهم من ينكر ثبوتها ويزعم أنها تابعة للاعتقادات ، حتي إن اعتقدنا الشيء جوهرا فجوهر ، أو عرضا فعرض أو قديما فقديم ، أو حادثا فحادث ،ومنهم من ينكر العلم بثبوت شيء ولا ثبوته ويزعم أنه شاك وشاك في أنه شاك وهلم جرا . وهم اللأدرية لنا تحقيقا: أن نجزم بالضرورة بثبوت بعض الأشياء بالعيان ، وبعضها بالبيان . وإلزاما: أنه إن لم يتحقق نفي الأشياء ، فقد ثبت ، وإن تحقق ، فالنفي حقيقة من الحقائق لكونه نوعا من

الحكم ، فقد ثبت شيء من الحقائق ، فلم يصح نفيها على الإطلاق"[1] .

نستخلص مما سبق أن حقائق الأشياء ثابتة وإن اختلفت الحواس حولها ، خلافا لما يزعم السوفسطئيون ،وفي الرد عليهم يُقال: فإذا لم يتحقق نفي للأشياء فقد ثبتت حقيقتها ، وبذلك يبطل قول السوفسطائيين ، وإن تحقق النفي فقد ثبتت حقيقة ، وهي حقيقة النفي نفسه لأن النفي نوع من الحكم ، وبذلك يبطل قول السوفسطائيين أيضا ، وبتطبيق هذا الدليل على طبيعة القيم الأخلاقية من حيث كونها نسبية أو مطلقة ينتج أنها مطلقة حِتي يتأتى لها أن تعمل على ضبط المجتمع وتقويم سلوكه ، ولا يمكن أن تؤدي الأخلاق هذا الدور المهم إذا اعتبرنا أنها نسبية ، بل على العكس كما سبق سوف تتسبب في شيوع الفوضى وفساد المجتمع .

(١) انظر شح العقائد النسفية / للإمام سعد الدين التفتازاني . – ١ / ١٣ ، ١٤ – تحقيق / د . أحمد حجازي السقا ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، الطبعة: الأولي – ١٩٨٧ م .

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أتمني من الله تعالي أن أكون ممن حالفهم التوفيق والسداد ، فما وُفقت فيه فبعون الله تعالي ، وما توفيقي إلا بالله ، وما كنت فيه مجانبا للصواب فأرجو قبول اعتذاري عما وقع في هذا البحث من أخطاء علمية أو لغوية .

وقد انتهي هذا البحث إلى نتائج كثيرة أهمها:

- إن القول بنسبية القيم الأخلاقية لم يكن وليد الفكر المعاصر وإنما يمتد بجذوره إلى العصر اليوناني متمثلا في الفكر السوفسطائي الذي جعل من الإنسان مقياسا لكل شيء ، ومتمثلا كذلك في الفكر الإبيقوري الذي جعل اللذة هي الغاية التي يسعي إليها الإنسان في حياته .
- إنه من الأسباب التي أدت إلى القول بنسبية القيم في الفلسفة الوجودية الخلط بين الغاية والوسيلة ، فلم يعد هناك حدود بين الوسائل والغايات الأمر الذي أدي إلى أن ينظر الإنسان إلى الحياة باعتبارها الغاية من وجودة ويركد وراء تحقيق رغباته بطرق شتي غير آبه أكانت هذه الطرق حراما أم حلالا .
- كذلك كانت الحداثة من الأسباب التي أدت إلى القول بنسبية القيم عند الوجوديين وغيرهم من أصحاب الفكر المعاصر وذلك لأن الحداثة لا تعترف بكل ما هو ثابت أو مطلق .
- أدي القول بنسبية القيم الأخلاقية إلى إنكار الوحي وإهمال التشريع الإلهي .
- القول بنسبية القيم الأخلاقية يلزم عنه قلب حقيقة علم الأخلاق من كونه علما معياريا إلى كونه موضوعا قابلا للنقد والأخذ والرد .

_ القول بنسبية القيم وجعل الإنسان مقياسا لما صح من الأفعال وما لم يصح منها يؤدي شيوع الفوضى ، وانتشار الإرهاب والتطرف ، تفشي الجرائم المختلفة .

_ كذلك فإن النسبية تؤدي إلى الاختلاف الفكري والتباعد الثقافي بين المجتمعات ، فما يراه مجتمع ما صوابا يراه المجتمع الآخر خطأ .

يؤدي القول بنسبية القيم الأخلاقية إلى أن تنشأ الأجيال الحديثة على الإلحاد وإنكار العالم الغيبي .

فهرس المصادر والمراجع باللغة العربية

١- المعجم الوسيط ج٢/ المؤلف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفي/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار، النا شر: دار الدعوة .

٢- معجم اللغة العربية المعاصرج٣/ للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولي ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .

٣- المعجم الفلسفي ج٢ / الدكتور جميل صليبا ، الناشر: دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان – ١٩٨٢م

٤- المعجم الفلسفي / مجمع اللغة العربية – القاهرة – تصدير: الدكتور إبراهيم مدكور ، الناشر : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م بيروت – لبنان – ١٩٨٢م ..

٥- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة / الدكتور عبد المنعم الحفني ، الناشر: مكتبة مدبولي – ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة ، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٠ م.

٦- الأخلاق النظرية / الدكتور عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات – ٣٧ شارع عهد السالم الكويت ، الطبعة : الثانية مايو ١٩٧٦م .ر الدعوة

٧- تاريخ الفلسفة اليونانية / يوسف كرم ، – الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٣٠٠ هـ – ١٩٣٦ م .

٨- تاريخ الفلسفة اليونانية / وولتر ستيس ، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٨٤ م .

٩- تاريخ الفلسفة ج١ /فريدريك كوبلستون ، ، ترجمة: الدكتور إمام عبد الفتاح ، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة – شارع الجبلاية – الاوبرا – الجزيرة – القاهرة ، الطبعة: الأولي ٢٠٠٢ م .

١٠- محاورة ثياتيتوس / تأليف أفلاطون – ترجمة وتقديم : دكتورة / أميرة حلمي مطر – كلية الآداب – جامعة القاهرة ، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠٠٠م .
١١- تاريخ الفلسفة الغربية ج١ / براتراند راسل، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود ، مراجعة: د/ أحمد أمين، الناشر: مؤسسة هنداوي -٢٠٢٣ م.
١٢- الفلسفة الإغريقية ج١/ الدكتور محمد غلاب ، الناشر: مطبعة البيت الأخضر ١٨ شارع الشيخ عبد الله بمصر، الطبعة: الأولي ١٩٣٨ م .
١٣- كتاب" الرسائل والحكم " / تأليف الفيلسوف اليوناني الشهير " أبيقور"، دراسة وترجمة : د/ جلال الدين سعيد ، الناشر: الدار العربية للكتاب ، بدون .
١٤- كتاب الوجودية مذهب إنساني / جان بول سارتر ترجمه عن الفرنسية: الدكتور عبد المنعم الحفني ، الناشر: مطبعة الدار المصرية للنشر والتوزيع ٣٢ شارع سامي بالمالية– القاهرة، الطبعة: الأولي ١٩٦٤ م .
١٥- كتاب الوجود العدم / جان بول سارتر، ترجمة: الدكتور عبد الرحمن بدوي ، الناشر: منشورات دار الآداب – بيروت ، الطبعة: الأولي ١٩٦٦ م .
١٦- الفلسفة المعاصرة في أوربا / إ. م. بوشنسكي ، ترجمة: د . عزت قرني ، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٧٨م.
١٧- دراسات في الفلسفة الوجودية / الدكتور عبد الرحمن بدوي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، الطبعة: الأولي ١٩٨٠م – ١٤٠٠ هـ .
١٨- معجم الفلاسفة / جورج طرابيشي، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت لبنان ، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٦ م .

١٩- الوجودية منزع إنساني/ جان بول سارتر ، تعريب : محمد نجيب عبد المولي / زهير المدنيني ، الناشر: دار محمد على للنشر – تونس / التنوير للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان – بيروت . الطبعة: الأولي ٢٠١٢ م.

٢٠- جان بول سارتر/ تأليف كاثرين موريس ، ، ترجمة: أحمد على بدوي ، الناشر: دار آفاق للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولي – المركز القومي للترجمة – ٢٠١١ م.

٢١- روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية / دكتور طه عبد الرحمن ، الناشر: المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب ، الطبعة: الثانية ٢٠١٢ م .

٢٢- القيم بين النسبية والثبات / دكتور/ محمد نجدي حامد عبد الحميد ، المجلد الثالث من العدد السادس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .

٢٣- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها / هنتر ميد ، ترجمة: د/ فؤاد زكريا ، الناشر: مؤسسة هنداوي ٢٠٢٢ م .

٢٤- مشكلات فلسفية (٦) المشكلة الخلُقية / دكتور زكريا إبراهيم ، الناشر: مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي (الفَجَّالة) بدون .

٢٥- القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة / دكتور مانع بن محمد بن على المانع عضو الدعوة والإرشاد بالرياض ، ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع – الرياض السعودية ، الطبعة: الأولي ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٢٦- كتاب نهاية التاريخ وخاتم البشر / فرانسيس فوكوياما، ترجمة: حسين أحمد أمين ، الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر مؤسسة الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة ، الطبعة: الأولي ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٢٧- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها / هنترميد ، ، ترجمة: الدكتور فؤاد زكريا ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الثانية نوفمبر ١٩٧٥ م .

٢٨- صحيح مسلم ج٤/ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفي ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – كتاب: البر والصلة والآداب – باب: الأرواح جنود مجندة

٢٩- الأخلاق الإسلامية وأسسها ج١/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الناشر: دار القلم – دمشق ، والدار الشامية – بيروت ، الطبعة: الخامسة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

٣٠- الفِصل في الملل والأهواء والنحل ج١/ للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ ، الناشر: مكتبة السلام العالمية – ٣٢ ش الفلكي .

فهرس المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية

1- Al-Mu'jam Al-Wasit ،Part 2/ Author: The Arabic Language Academy in Cairo, (Ibrahim Mustafa/ Ahmed Al-Zayat/ Hamed Abdel Qader/ Mohamed Al-Najjar ،Al-Na Evil: Da R invitation.

2- Contemporary Arabic Dictionary, Part 3, by Dr. Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar, Publisher :Alam Al-Kutub, Edition: First 1429 AH - 2008 AD.

3-The Philosophical Dictionary, Part 2 / Dr. Jamil Saliba, Publisher :Dar Al-Kitab Al-Lubnani - Beirut - Lebanon - 1982 AD

4- The Philosophical Dictionary / The Arabic Language Academy - Cairo - Introduction: Dr. Ibrahim Madkour, Publisher: The General Authority for Amiri Printing Affairs, 1403 AH - 1983 AD Beirut - Lebanon - 1982 AD.

5- The Comprehensive Dictionary of Philosophy Terms / Dr. Abdel Moneim El-Hafny, Publisher: Madbouly Library - 6 Talaat Harb Square - Cairo, Edition: Third 2000 AD.

6- Theoretical Ethics / Dr. Abdul Rahman Badawi ،Publisher: Publications Agency - 37 Ghad Al-Salem Street, Kuwait, Edition :Second, May 1976 AD .R .Advocacy

7 - History of Greek Philosophy / Youssef Karam, - Publisher: Printing Press of the Committee for Authorship, Translation and Publication - 1300 AH - 1936 AD.

8- History of Greek Philosophy / Walter Stace, translated by: Mujahid Abdel Moneim Mujahid, publisher: Dar Al Thaqafa for Publishing and Distribution - Cairo 1984 AD.

9- (History of Philosophy, Part 1 / Frederick Copleston, Translated by: Dr. Imam Abdel Fattah, Publisher: Supreme Council of Culture - Gabalaya Street - Opera - Al-Gezira - Cairo, Edition: First 2002 AD.

10- Theaetetus Dialogue / Written by Plato - Translated and presented by: Dr. / Amira Helmy Matar - Faculty of Arts - Cairo University, Publisher: Dar Gharib for Printing ، Publishing and Distribution - Cairo 2000 AD.

11- History of Western Philosophy, Part 1 / Bertrand Russell, translated by: Dr. Zaki Najib Mahmoud, reviewed by: Dr.

Ahmed Amin, publisher: Hindawi Foundation - 2023 AD.

12- Greek Philosophy ،Part 1/ Dr. Muhammad Ghallab, Publisher: Green House Press, 18 Sheikh Abdullah Street, Egypt, Edition: First, 1938 AD.

13- The book" Letters and Wisdom / "written by the famous Greek philosopher" Epicurus ،"study and translation: Dr. Jalal al-Din Saeed, publisher :Arab House for Books, without.

14- Existentialism is a Humanism / Jean-Paul Sartre Translated from French by: Dr. Abdel Moneim El-Hafny, Publisher: Egyptian House for Publishing and Distribution Press, 32 Sami Street, El-Maliya - Cairo, Edition: First 1964 AD .

15- The Book of Being and Nothingness / Jean-Paul Sartre ، Translated by: Dr. Abdul Rahman Badawi, Publisher: Dar Al-Adab Publications - Beirut ،Edition: First 1966 AD.

16- Contemporary Philosophy in Europe / E. M. Bochinsky, Translated by: Dr. Ezzat Qarni ،Publisher: National Council for Culture, Arts and Letters - Kuwait - 1978

17- Studies in Existential Philosophy / Dr. Abdul Rahman Badawi, Publisher: Arab Foundation for Studies and Publishing - Beirut, Edition: First 1980 AD - 1400 AH.

18- Dictionary of Philosophers / George Tarabishi, Publisher: Al-Tali'ah Printing and Publishing House - Beirut, Lebanon, Edition: Third 2006 AD.

19- Existentialism is a Humanist Tendency / Jean-Paul Sartre

،Translated by: Muhammad Najib Abdul-Mawla / Zuhair Al-Madani, Publisher: Muhammad Ali Publishing House - Tunisia / Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution - Lebanon - Beirut. Edition: First 2012.

20- Jean-Paul Sartre / Written by Catherine Morris, Translated by: Ahmed Ali Badawi, Publisher: Afak Publishing and Distribution House ، Edition: First - National Center for Translation - 2011

21- The Spirit of Religion from the Narrowness of Secularism to the Breadth of Trustworthiness / Dr. Taha Abdel Rahman, Publisher: Arab Cultural Center - Casablanca - Morocco, Edition: Second 2012 AD.

22- Values between relativity and stability / Dr .Muhammad Najdi Hamid Abdul Hamid ،the third volume of the thirty-sixth issue of the Annals of the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Alexandria.

23- Philosophy ،its types and problems / Hunter Mead, translated by: Dr. Fouad Zakaria, publisher: Hindawi Foundation 2022 AD.

24- Philosophical Problems (6) The Moral Problem / Dr. Zakaria Ibrahim ،Publisher: Egypt Library 3 Kamel Sedki Street) Al-Fajala) without.

25- Values between Islam and the West: A Comparative Study of Authenticity / Dr. Mani' bin Muhammad bin Ali Al-Mani', Member of the Call and Guidance Department in Riyadh, Publisher :Dar Al-Fadhila for Publishing and

Distribution - Riyadh, Saudi Arabia, Edition :First 1426 AH - 2005 AD.

26- The End of History and the Last Man / Francis Fukuyama, translated by: Hussein Ahmed Amin, publisher: Al-Ahram Center for Translation and Publishing, Al-Ahram Foundation - Galaa Street - Cairo ،edition: first 1413 AH - 1993 AD.

27- Philosophy ،its types and problems / Huntermead ، translated by: Dr. Fouad Zakaria, publisher: Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, Faggala - Cairo, edition: second, November 1975 AD.

28- Sahih Muslim, Vol. 4 /Author: Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi (died 261 AH) Researcher: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Publisher: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut - Book: Piety, Kinship, and Manners - Chapter: Souls are Conscripted Soldiers

29- Islamic Ethics and Its Foundations, Part 1/ Abdul Rahman Hassan Habanka Al-Maydani ، Publisher: Dar Al-Qalam - Damascus, and Dar Al-Shamia - Beirut, Edition: Fifth 1420 AH - 1999 AD

30- Al-Fasl fi al-Milal wa al-Ahwa wa al-Nihal, Part 1, by Imam Ibn Hazm al-Zahiri al-Andalusi, who died in the year 456 .Publisher: Maktabat al-Salam al-Alamiya - 32 Al-Falaki Street.

فهرس الموضوعات

تمهيد:
الفصل الأول : الجذور الفكرية للقول بنسبية القيم الأخلاقية:..... ٦٧٥
المبحث الأول : جذور النسبية الأخلاقية عند السوفسطائيين ٦٧٦
المطلب الأول : مفهوم السفسطة وبداية ظهور السوفسطائيين :.. ٦٧٦
المطلب الثاني : نسبية القيم الأخلاقية عند السوفسطائيين ٦٧٩
المبحث الثاني : جذور النسبية الأخلاقية عند الأبيقورية ٦٨٧
الفصل الثاني : نسبية القيم الأخلاقية في الفكر الغربي المعاصر – الفلسفة الوجودية نموذجا– ٦٩٣
المبحث الأول: مفهوم الوجودية وتاريخ ظهورها ٦٩٤
المطلب الأول: مفهوم الوجودية وبيان معناها. ٦٩٤
المطلب الثاني : تاريخ ظهور الفلسفة الوجودية وأبرز مؤسسيها . ٦٩٧
المبحث الثاني: نسبية القيم الأخلاقية في الفلسفة الوجودية:..... ٧٠٠
الفصل الثالث : الآثار المترتبة على القول بنسبية القيم الأخلاقية: ...٧٠٧
المبحث الأول: الأسباب التي أدت إلى القول بنسبية القيم الأخلاقية..٧٠٨
المبحث الثاني:النتائج المترتبة على القول بنسبية القيم الأخلاقية:....٧١٤
المبحث الثالث: الدليل العقلي على بطلان القول بنسبية القيم الأخلاقية :.٧٢٠
الخاتمة:. ٧٢٤
فهرس المصادر والمراجع باللغة العربية ٧٢٦
فهرس المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية..... ٧٢٩
فهرس الموضوعات ٧٣٤